مجلة كلية الآداب بقنا (دورية أكاديمية علمية محكمة)

أوقاف التجار في دمشق
وأثرها في الحياة العامة عصر سلاطين المماليك
(٦٥٨-٩٢٢هـ/١٢٦٠-١٥١٦م)

د. عمر جمال محمد علي
مدرس التاريخ الإسلامي
كلية الآداب–جامعة سوهاج

مقدمة:

شهد عصر سلاطين المماليك تطورًا كبيرًا وازدهارًا لمختلف الأنظمة والأنشطة التي وُضع أساسها في العصر الأيوبي، ومن جملتها نظام الوقف، حتى قيل إن هذا العصر يمثل العصر الذهبي لنظام الأوقاف(١)، فكان كل من لديه أرض أو عقار أو مال ثابت أو منقول في ذلك العصر يتطلع لوقفه، إما وقفًا خيريًا أو أهليًا(٢). والوقف معناه في اللغة الحبس مطلقًا، وهو مصدر وقفت الشيء اذا حبسته، وفي اصطلاح الفقهاء: حبس عين وتسبيل ثمرتها أي قطع التصرف في رقبة العين التي يدوم الانتفاع بها وصرف المنفعة لجهة خير على حسب شروط الواقف(٣)، وهو صدقة محرمة، لا تباع ولا تشترى، ولا توهب ولا تورث، ويُصرف ريعها إلى جهة من جهات البر(٤).

وتنقسم الأوقاف من حيث مصارفها إلى:

- الوقف الأهلي: أو الذُري، ويكون استحقاق الريع فيه للواقف نفسه أو لغيره من الأشخاص المعنيين بالوقف سواء أكانوا أقاربه أم من غيرهم ثم بعد ذلك يؤول إلى جهة خيرية.

- الوقف الخيري: وهو ما يُصرف فيه الريع من حيث صدوره إلى جهة خيرية، بمعنى حبس الأملاك لصالح جهات البر المختلفة من الجوامع والمساجد والبيمارستانات ودور العلم من مدارس ومكاتب تعليم الأيتام أو منشآت التصوف كالخوانق(٥) والرِّبُط(١) وزوايا(٢)، وغير ذلك(٣).

---

(١) محمد محمد أمين: الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر (٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م) دراسة تاريخية وثائقية، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠١٤م، ص ٧٠.

(٢) عبد اللطيف إبراهيم: «دراسات تاريخية وأثرية في وثائق من عصر الغوري»، رسالة دكتوراه، كلية الآثار - جامعة القاهرة، ١٩٥٦م، ص١٢٣.

(٣) الطرابلسي(برهان الدِّين إبراهيم بن موسى بن أبي بكر بن على الحنفي، ت٩٢٢هـ/١٥١٦م): الإسْعاف في أحكام الأوقاف، دار الرائد العربي، بيروت، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ص٧؛ محمد أبو زهرة: محاضرات في الوقف، الطبعة الثانية، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧١م، ص٣٩؛ عبد اللطيف إبراهيم: دراسات تاريخية وأثرية، ص١١٦.

(٤) محمد أمين: الأوقاف والحياة الاجتماعية، ص١.

(٥) الخَوانق: أو الخَوانِك، جمع خانْقاه أو خانْكاه، كلمة فارسية معناها بيت أو دار الصُّوفية، ثم كَثُر استعمالها على الألسنة فقيل«خانْقاه» بالقاف بدلا من الكاف، والخَوانِك حدثت في الإسلام في حدود سنة أربعمائة هجرية وجعلت للصوفية الذين يعبدون الله سبحانه وتعالي بها.(المَقْريزي: المَواعظ والاعتِبَار، مج ٤، ص٧٢٤-٧٢٥).

- <u>الوقف الخيري الأهلي</u>، وهو نوع مشترك، يمكن اعتباره مزيجًا بين الوقف الخيري والوقف الأهلي، فقد نصت كثير من وثائق الأوقاف على وقف عقارات وأراضٍ يزيد ريعها زيادة كبيرة عن الحاجة الفعلية لمصاريف الوقف والتي يحددها الواقف في وثيقة وقفه، ثم يَنُص صراحة على عودة المتبقي إليه(٤).

وقد تسابق سلاطين المماليك وأمراؤهم، وكذلك القضاة والفقهاء والتجار والنساء وغيرهم من طبقات المجتمع من أهل الخير إلى الوقف، وفي ذلك أشار ابن خلدون(٥) إلى اعتناء المماليك بالأوقاف بأنهم قاموا« بإنشاء المدارس لتدريس العلم والخوانق لإقامة رُسُوم الفقراء في التخلق بآداب الصوفية... فيختطون مبانيها ويقِفُون الأراضي المُغِلَّة للإنفاق منها على طلبة العلم ومُتَدرِّبي الفقراء...فكثرت لذلك المدارس والخوانق بمدينة

---

(١) الرُّبُط: جمع رِباط، والرِباط والمُرَابطة تعنى ملازمة وإقامة الحامية المُرَابطة عند ثغور العدُوّ، وأصلُه أن يَرْبط كل واحدٍ من الفريقين خَيْلَه، ثم صار لُزوم الثَّغْرِ رِباطا، والرِباط المواظبة على الأمر، ثم أصبح بيتًا للصوفية ومكانًا لإيواء الزُهاد المنقطعين للعبادة والعلم والمعتكفين والمتعيشين وأبناء السبيل. ولقد أثبتت وثائق الوقف المملوكية أن استخدام لفظ رِباط في العمارة في مصر في العصر المملوكي إنما يدل على مبنى عبارة عن ملجأ مخصص لفقراء المسلمين أو عتقاء الواقف أو الجند البطالين.(للمزيد انظر: ابن مَنْظُور(جمال الدِّين أبو الفضل محمد بن مَكْرَم بن علي الأنصاري، ت ٧١١هـ/١٣١١م): لسان العرب، دار المعارف، القاهرة،(د.ت)، ج١٩، ١٥٦١، مادة(ربط)؛ المَقْريزي(تقيِّ الدِّين أحمد بن علي بن عبد القادر، ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤٢م): المَواعظ والاعتِبَار في ذكر الخِطَط والآثار، قَابَلَهُ بأُصُوله وأعَدَّهُ للنَّشر أَيمَن فُؤاد سَيِّد، الطبعة الثانية، مُؤَسَّسَة الفُرقَان للتُّراثِ الإسلاَمي، لندن، ٢٠١٣م، مج٤، ص٧٩٣؛ محمد محمد أمين وليلى علي إبراهيم: المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية(٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م)، الطبعة الأولى، دار النشر بالجامعة الأمريكية، القاهرة، ١٩٩٠م، ص٥٢).

(٢) الزَّوايا: مفردها زَاوِيَة، موضع للانزواء، وهى الركن من الدار أو المكان عامة، ثم أطلقت على المكان الذي يُنشئ لإيواء المنقطعين للعلم والزهاد والعُباد، وكان غرض منشئها والمتصدقين عليها الخير واكتساب الثواب. وما تزال بعض المساجد الصغيرة بمصر حتى اليوم يطلق عليها اسم زَوايا. (ابن منظور: لسان العرب، ج٢١، ص١٨٩٥، مادة(زوى)؛ سعيد عبد الفتاح عاشور: المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، دار النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٩٢م، ص١٨٧).

(٣) عبد اللطيف إبراهيم: دراسات تاريخية وأثرية، ص١١٩.

(٤) محمد أمين: الأوقاف والحياة الاجتماعية، ص٧٢-٧٣.

(٥) (عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن حسن بن عبد الرحمن، ت ٨٠٨هـ/١٤٠٦م): التعريف بابن خلدون ورحلته غربًا وشرقًا، عارضه بأصوله وعلق حواشيه محمد بن تاويت الطنجي، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٦م، ص٢٧٩.

القاهرة، وأصبحت معاشًا للفقراء من الفُقهاء والصوفية، وكان ذلك من محاسن الدولة التركية وآثارها الجميلة الخالدة».

ومما يلفت النظر قيام كثير من التجار في دمشق بإنشاء عدد كبير من المنشآت الدينية والتعليمية ووقفها على وجوه الخير والصدقة، وعلى الرغم من ضياع وثائق الوقف الأصلية التي أوقفها التجار باستثناء وقفية الخَوَاجَا[١] برهان الدين إبراهيم بن مبارك شاه الإسعردي[٢]، وقلة المادة العلمية المتعلقة بأوقافهم في المصادر التاريخية المعاصرة، إلا أن دفاتر تحرير الطابو العثمانية[٣] TAPU TAHRIR DAFTERI المحفوظة في أرشيف

---

(١) الخَوَاجَا: من ألقاب أكابر التُّجَّار الأعاجم من الفرس ونحوهم. وهو لفظ فارسيّ، ومعناه السيِّد، والخواجكيّ بزيادة كافٍ نسبة إليه للمبالغة، وكأنّ الكاف في لغتهم تدخل مع ياء النسب.(القَلْقَشَنْدي: أبو العباس أحمد بن علي، ت ٨٢١هـ/ ١٤١٨م): صُبْح الأعْشَى في صِنَاعة الإنْشا، الطبعة الثالثة، مركز تحقيق التراث، دَار الكُتب وَالوَثَائِق القَوميَّة، القَاهرة،١٤٣١هـ/٢٠١٠م، ج٦، ص١٣).

(٢) عثر الأمير جعفر الحسني على هذه الوقفية محفوظة في المتحف الوطني بدمشق تحت رقم ٧٣٦٦، وهي الوقفية الأصلية الوحيدة – على حد علمي– التي تختص بوقف أحد التجار. (انظر: جعفر الحسني: المدرسة الإسعردية، مجلة المجمع العلمي العربي، الجزء الثالث–المجلد الثالث والثلاثون، ذي الحجة ١٣٣٧هـ/تموز ١٩٥٨م، ص٤٠١–٤٠٢). والخَوَاجَا ابن الإسعردي، هو برهان الدين إبراهيم بن مبارك شاه الإسعردي، من أكابر التجار في دمشق، أنشأ دار القرآن الكريم الإسعردية بالصالحية، توفي في رجب سنة ٨٢٦هـ/ يونيو ١٤٢٣م.(السخاوي: شمس الدِّين محمد بن عبد الرحمن الشافعي، ت٩٠٢ هـ/١٤٩٧م): الضَّوء اللامع لأهل القرن التاسع، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٩٦م، ج١، ص١١٨؛ عبد الباسط بن خليل: زين الدِّين عبد الباسط بن خليل بن شاهين الظَّاهري، ت٩٢٠هـ/١٥١٤م): نيل الأمل في ذيل الدول، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، الطبعة الأولى، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٢م، ج٤، ص١٣٣ رقم ١٣٣).

(٣) أطلق مصطلح الطابو على السند الذي يفيد حق التصرف بالأراضي، وكذلك على سند ملكية العقارات، ثم أطلق فيما بعد على دائرة تسجيل العقارات والأراضي. وهذه الدفاتر كان يتم تنظيمها عند تحرير(تسجيل) الأراضي، حيث اهتم العثمانيون عند كل فتح جديد للأراضي بالقيام بإعداد سجلات شاملة منظمة لتسجيلها، وتحديد نظام ملكيتها والتصرف بها وتحديد النسب الضريبية عليها، وكان يطلق على هذه العملية التي يحتم القانون تكرارها مرة كل ثلاثين عامًا كلمة(تحرير). ومع هذا فقد كانت تتم أحيانًا على فترات أطول أو تظهر أسباب شتى تدعو لإجراء عمليات التحرير المبكرة مثل جلوس سلطان جديد أو ظهور خلافات بين السكان على الأراضي في منطقة معينة، أو تشكى الناس وتذمرهم لانعدام العدالة الضريبية، أو حدوث تغييرات سكانية مثل الهجرات والأوبئة وغيرها. وكان يتم تدوين هذه المعلومات من قبل كتّاب الولاية الذين أطلق على كل منهم اسم «أمين»، أو « محرر الممالك»، وعلى مساعده لقب« كاتب». وكان المسئولون في كل ولاية يسهلون مهمة الكاتب، ويقوم الأمين بكتابة مسودة لشتى المعلومات التي أمكنه جمعها أثناء عملية التحرير، ومن بين هذه المعلومات ما يحمل أهمية

رئاسة الوزراء باستانبول Başbakanlık Arşivleri Istanbul، قد سجلت ملخصات لهذه الوقفيات، مما كشف اللثام عن معرفة أسماء التجار الواقفين، ومنشآتهم، والأعيان الموقوفة عليها، ومصارفها المختلفة، إلى جانب أنواع الأوقاف سواء كانت أهلية أو خيرية أو مشتركة، وهي تشكل مادة مهمة ورئيسية لهذه الدراسة، وهذه الدفاتر على النحو التالي:

١- دفتر تحرير الطابو رقم ٣٩٣، تاريخه غير مُحدّد. ويرجع إلى فترة حكم السُلْطان سليمان القانوني (٩٥٤-٩٧٤هـ/١٥٤٧-١٥٦٦م)، وتاريخ أحدث وقفية في سنة (٩٥٤هـ/١٥٤٧م)،

٢- دفتر تحرير الطابو رقم ٦٠٢، تاريخه سنة ٩٩٠هـ/١٥٨٢م.

٣- دفتر تحرير الطابو رقم ٦٥٦، يرجع تاريخه إلى فترة حكم السُلْطان مراد الثالث(٩٨٢- ١٠٠٣هـ/١٥٧٤-١٥٩٥م).

وقد تسنى لي – بعون الله وفضله- الحصول على نسخة مصورة من هذه الدفاتر في الأرشيف العثماني، وبعد الحصول عليها، تطلب الأمر قراءة كافة الوقفيات الواردة فيها، والتي تخطت بضع مئات في الدفتر الواحد، ومن هنا كانت الحاجة ماسة إلى ترتيبها وفهرستها؛ حتى يُمكن استخلاص وقفيات التجار من بينها، ولم يكن هذا الأمر بالهين لاسيّما في تحديد أسماء التجار، حيث أن بعض الأوقاف وردت في بعض الأحيان بذكر لقب الواقف واسم العائلة فقط دون ذكر اسمه، خاصة أن هناك عدة أُسر من كبار التجار عاشت في دمشق، ممن ذاع صيت كثير من أبنائها، ولمَّا كان منهم من اشتغل بالتجارة، ومنهم لم يمارسها، كان الصعوبة بمكان تحديد إن كان هذا اللقب أو ذاك يخص أحد التجار أم لواحد

عظيمة وخاصة ما يتعلق بالتيمارات(إقطاعات) والأملاك والأوقاف. وأثناء التسجيل كان يتم تصنيف الأراضي إلى خاص، زعامة، تيمار، أوقاف وأملاك.(للمزيد انظر: محمد أبشرلي ومحمود داود= =التميمي: أوقاف المسلمين في فلسطين في ألوية غزة، القدس الشريف، صَفَد، نَابْلُس، عَجْلُون حسب الدفتر رقم ٥٢٢ من دفاتر التحرير العثمانية المدونة في القرن العاشر الهجري، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، استانبول، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، المدخل ص(ح-ط)؛ نجاتي أقطاش وعصمت بينارق: الأرشيف العثماني فهرس شامل لوثائق الدولة العثمانية المحفوظة بدار الوثائق التابعة لرئاسة الوزراء باستانبول، ترجمة سعداوي صالح، منشورات مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية باستانبول ومركز الوثائق والمخطوطات بالجامعة الأردنية، عمان، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ص ٣٢٩-٣٣٥؛ حسن حلاق وعباس صباغ: المعجم الجامع في المصطلحات الأيوبية والمملوكية والعثمانية ذات الأصول العربية والفارسية والتركية، الطبعة الأولى، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٩م، ص١٤٣).

من أقاربه الذين لم يعملوا بالتجارة. وبعد ذلك تتبعت وقفيات كل واقف، وما إن كانت أوقافه تكررت في الدفاتر الثلاثة أم لا، مع مقارنة بعضها البعض، للوقوف على بعض الأخطاء التي وقع فيها كُتاب هذه الدفاتر أثناء تسجيل هذه الوقفيات.

أولاً: دوافع التجار إلى الأوقاف في دمشق:

يُعد الدافع الديني الأساس الرصين في إنشاء الأوقاف، وذلك طلبًا للأجر والثواب من الله عز وجَلّ، وهو ما يرد دائمًا في افتتاحية وثائق الوقف المملوكية، فقد نصّت وقفية المدرسة الإسعردية[١] المؤرخة في الخامس عشر من المحرم سنة ٨١٧هـ/ أبريل ١٤١٤م، أن الله عز وجَلّ طلب من عباده القرض الحسن وهو الإنفاق في سبيل الله، مدللة بنص الآية الكريمة «مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ»[٢]، ثم ذكرت أهمية تقرب الواقف إلى ربه عن طريق الصدقة الجارية التي لا تنقطع بعد نفاذ الأجل مدعمة ذلك بحديث الرسول ﷺ« إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية»[٣].

وقد اقترنت كلمة الصدقة بالأوقاف، حيث كان يَرد في وثائق الوقف بعض الألفاظ بأن الواقف «وقف وحَبَّس، وسبّل، وأبَّد وتَصَدَّق»[٤]، وهو ما جاء في وقفية المدرسة

---

(١) المدرسة الإسعرديّة: وتُعرف بدار القرآن الإسعردية، بالجسر الأبيض بالصالحية، أنشأها الخَوَاجَا إبراهيم الإسعردي في سنة ٨١٧هـ/١٤١٤م.(النعيمي(عبد القادر بن محمد الدمشقي، ت٩٢٧هـ/١٥٢١م): الدارس في تاريخ المدارس، تحقيق جعفر الحسني، الطبعة الثانية، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٦م، ج١، ص١٥٠؛ ابن طولون(شمس الدين محمد بن علي بن أحمد الصالحي الدمشقي، ت٩٥٣هـ/١٥٤٦م): الجوهرية في تاريخ الصالحية، تحقيق محمد أحمد دهمان، الطبعة الثانية، مطبوعات مَجْمَع اللغة العربية، دمشق، ١٩٨٠م، ق١، ص ١٢٧).

(٢) سورة البقرة رقم ٢ آية ٢٤٥.

(٣) جعفر الحسني: المدرسة الإسعردية، ص٤٠٣. والحديث:« **إذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث صدقة جارية او علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له**».(مُسلم بن الحجّاج: الإمام أبي الحسين مُسلم بن الحَجَّاج القُشَيْري النَّيْسَابُوري، ت٢٦١هـ/٨٧٥م): صَحيح مُسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة الأولى، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٤١٢هـ/١٩٩١م، ج٣، ص ١٢٥٥ حديث رقم ١٦٣١.

(٤) محمد أمين: الأوقاف والحياة الاجتماعية، ص ١٣٢. وللوقف ألفاظ صريحة وكناية، فالصريحة فثلاثة ألفاظ: وقف، وحبَّس، وسبَّل، وأن من أتى بكلمةٍ منها صحّ بها الوقف. والكناية ثلاثة ألفاظ أيضًا: تصدَّق، وحرَّم، وأبدَّ، فمتى أتى مالك بأحد هذه الكنايات الثلاث، واعترف أنه نوى بها الوقف، لزم في =الحكم، لأنها بالنيّة صارت ظاهرة فيه.(انظر: الشوكاني: عبد القادر بن عمر بن عبد القادر التغلبي الشَّيباني الدمشقي الحنبلي، ١١٣٥هـ/١٧٢٣م): نيل المآرب بشرح دليل الطالب: على مذهب الإمام المبجل أحمد بن حنبل، حَقّقَهُ محمد سليمان عبد الله الأشقر، الطبعة الأولى، مكتبة الفلاح، الكويت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ج٢، ص ١٠-١١؛ محمد محمد أمين: «وثائق وقف السُّلْطان قلاوون على

الإسعردية بأن الواقف:«وقف وأبَّد وحبَّس وحرَّم وتَّصدَّق ليهديه ربه إلى صراطه المستقيم ويجيره يوم القيامة من عذابه الأليم»[١].

كذلك كان الدافع الاقتصادي من الأسباب التي شجعت كثيرًا من التُّجار على وقف أملاكهم، خاصة أن هذه الأوقاف كانت معفاة من الخراج والضرائب، و الأساس في إعفائها أن الأموال الموقوفة في سبيل الله ليس فيها زكاة. والمفروض في الوقف أنه صدقه، إذ يُخصص ريعه للصرف على الفقراء والعلماء وطلاب العلم[٢]. ونظرًا لكثرة أموال التجار وخاصة كبار التجار الخواجكية منهم، فكانت الأوقاف وسيلة لتحصين أموالهم وأملاكهم من المصادرات[٣]، والمكوس والإجراءات الاقتصادية التعسُّفية الأخرى التي فرضتها الدولة في بعض الأوقات، وبذلك يضمنون موردًا اقتصاديًا ثابتًا من ريعها الوافر لأنفسهم ولأولادهم من بعدهم مهما تقلبت بهم الأيام[٤]، وهو ما يفسر وجود كثير من الوقفيات من نوع الوقف الأهلي على الذرية، حيث حِرص كثير من الواقفين أن يكون النظر على الوقف على أنفسهم ومن بعدهم على أولادهم وذريتهم.

وبالنظر إلى حالات المصادرات والإجراءات الاقتصادية التعسفية التي تعرّض لها التجار في دمشق فهي كثيرة ومتنوعة، حيث جاءت في صور فردية وجماعية، وكانت في أغلبها ظالمة ودون أسباب واضحة حتى يُمكن اعتبارها دافعًا حقيقيًا للقيام بها، فمن المصادرات الفردية ما تعرض له سيف الدين السُّرَّمرّي[٥] أحد كبار التجار بدمشق الذي

البيمارستان المنصوري»، ملحق بكتاب تَذكِرَة النَّبيه في أيَّام المنصُور وَبَنيه للحسن بن عمر بن حبيب، مركز تحقيق التراث، مطبعة دار الكتب ، القاهرة، ١٩٧٦م، ج١، ص٣٣٦ حاشية ١).

(١) وقفية الخَوَاجَا إبراهيم الإسعردي من نشر: جعفر الحسني: المدرسة الإسعردية، ص٤٠٣.

(٢) محمد أمين: الأوقاف والحياة الاجتماعية، ص٩٢.

(٣) المُصادرات: المُصادرة في اللغة في كلام كُتاب الدواوين، من صُودر فُلان العامل على مال يؤديه أي فورِق على مال ضَمِنهُ. أما اصطلاحاً فهي عقوبة مقررة واجبة النفاذ هدفها جمع المال بالقوة لصالح الدولة، دون أن يكون للشخص المعاقب حق الاعتراض، وقد وردت بعض الألفاظ التي تتضمن معناها كالترسيم، والحوطة، والعقوبة، والجناية، والغرامة.(انظر: ابن منظور: لسان العرب، ج٢٧، ص٢٤١٢، مادة(صَدرَ)؛ البيومي إسماعيل الشربيني: مصادرة الأملاك في الدولة الإسلامية(عصر سلاطين المماليك)، سلسلة تاريخ المصريين رقم(١١٠-١١١)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٧م، ج١، ص٢٣).

(٤) محمد أمين: الأوقاف والحياة الاجتماعية، ص٧٢.

(٥) هو الصدر الأديب سيف الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن علي بن جعفر البغدادي السُّرَّمَرِّي التاجر، (بفتح الميم وتشديد الراء)، نسبة إلى مدينة سر من رأى، وينسب إليها أيضًا بالسُّرَّمرّي، واقف دار

صُودر مرتين: الأولى كانت في عهد السُّلْطان الظَّاهر بيبرس(٦٥٨-٦٧٦هـ/١٢٥٩-١٢٧٧م)، عندما صودرت أحد مراكبه القادمة من اليمن عبر قُوص محملّة بالبُهار، وتغريمه نحو ثلاثين ألف دينار بمصر ودمشق ذهبًا وعينًا من الفلفل والبهار دون تبرير لذلك غير اتهامه بالاستيلاء على ودائع بعض الأشخاص من بغداد، وعلى الرغم من محاولته نفي التهمة عنه، إلا أنه أُرغم على دفع القيمة المطلوبة حتى ينجو من العقاب. أمّا المصادرة الثانية التي تعرّض لها فكانت بالقاهرة في سنة ٦٨٦هـ/١٢٨٧م، في عهد السُّلْطان المنصور قلاوون (٦٧٨-٦٨٩هـ/١٢٧٩-١٢٩٠م)، بسبب قرية حزْرَما [١] التي اشتراها من خاتون[٢] ابنة الملك الأشرف موسى الأيوبي، غير أنهم أثبتوا عدم رُشدها في بيع أملاكها التي ورثتها، وأبطلوا البيع، ثم اثبتوا رُشدها بعد ذلك واشتروا منها تلك الأملاك، واسترجعوا منه غلال القرية عن مدة عشرين سنة بقيمة مائتي ألف دينار، ثم عاد سيف الدين السُّرَّمرّي إلى دمشق وعليه كثير من الديون للتجار، وكان آخر ما تبقى قاعة جعلها رِباطا وتُربة دُفن بها، وأوقف عليها مزرعة وبقايا ما كان قد بقي من أملاكه[٣]. وهو ما

الحديث السَّامَّرية والخانْقاه بها في دمشق، توفي في شهر شعبان ٦٩٦هـ/يونيو١٢٩٧م. (البرزالي(علم الدين أبي محمد القاسم بن محمد بن يوسف الأشبيلي الدمشقي، ت٧٣٩هـ/١٣٣٩م): المقتفي على كتاب الروضتين المعروف بتاريخ البرزالي، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، الطبعة الأولى، المكتبة= =العصرية، صيدا- بيروت، ٢٠٠٦م، ج٢، ص٥٢٣-٥٢٤ رقم١١٨٠؛ الذهبي(شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز، ت٧٤٨هـ/١٣٤٨م): تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، حوادث وتراجم (٦٤١-٧٠٠هـ)، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٨-٢٠٠٠م، ج٥٢، ص٢٩٢-٢٩٣رقم ٣٩٥).

(١) حزْرَما: قرية من قرى مرج دمشق، وثلثها وقف على دار الحديث الأشرفية بدمشق. (ابن طولون: ضرب الحوطة على جميع الغوطة، نشر محمد أسعد طلس، مجلة المجمع العلمي العربي، الجزء الثالث والرابع، المجلد الحادي والعشرين، آذار ونيسان ١٩٤٦م/ ربيع الثاني وجُمادى الأولى ١٣٦٥هـ، ق١، ص١٥٦).

(٢) هي خاتون بنت الملك الأشرف موسى بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب، كانت زوجة الملك المنصور محمود بن الصالح إسماعيل، وأم ولديه، خلّف لها والدها الأملاك الكثيرة بدمشق ونواحيها، توفيت في سنة ٦٩٤هـ/١٢٩٥م.(ابن الجزري(شمس الدين محمد بن إبراهيم بن أبي بكر القرشي، ت٧٣٩هـ/١٣٣٨م): تاريخ حوادث الزمان وأنبائه ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، الطبعة الأولى، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، ٢٠٠٦م، ج١، ص٢٧٢ رقم١٤٣؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٥٢، ص٢١٦ رقم٢٢٢).

(٣) اليونيني(قطب الدين موسى بن محمد، ت ٧٢٦هـ/ ١٣٢٦م): ذيل مرآة الزمان، تاريخ السنوات(٦٥٤-٦٨٦هـ)، الطبعة الأولى، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند، ١٩٥٤-

يُبيّن طمع بعض السلاطين في أموال التجار والتحايل على أخذ أموالهم عن طريق المصادرة.

وأمر السُلْطان الظاهر جَقْمَق (٨٤٢-٨٥٧هـ/١٤٣٨-١٤٥٣م)، في المحرم ٨٤٣هـ/ يونيو١٤٣٩م بسجن الخَوَاجَا شمس الدين محمد بن المُزَلِّق[١] كبير التجار بدمشق في قلعتها، وإلزامه بمبلغ ثلاثين ألف دينار للسلطان، وعشرة آلاف دينار لديوان الخاص؛ وذلك لعدم تأديته الضرائب المقررة عن تجارته، فحضر أحد أولاده إلى القاهرة وصالح السُلْطان بخمسة آلاف دينار، ولديوان الخاص ألف دينار[٢]. والغريب في الأمر أن الدولة ممثلة في السلطان وجدت أن هذه الأموال كافية للإفراج عنه، على الرغم من أن الذي دفعه ابنه للسلطان ولديوان الخاص لا يتناسب مع مقدار الأموال المقررة على والده، ومع ذلك أفرج عنه.

كذلك طمع السُلْطان الأشرف قايتباي(٨٧٢-٩٠١هـ/١٤٦٧-١٤٩٦م)، في أموال الخَوَاجَا علاء الدين علي بن الصابوني[٣] الذي تقلّد وظيفة قضاء دمشق، حيث أصدر أوامره بالقبض عليه في القاهرة في شوال سنة ٨٧٢هـ/ مايو١٤٦٨م، وفي الشهر نفسه

١٩٦١م، ج٤، ص٣١٥-٣١٦؛ ابن الجزري: تاريخ حوادث الزمان، ج١، ص٣٥٨؛ الكُتبي(صلاح الدين محمد بن شاكر، ت ٧٦٤هـ /١٣٦٣م)، عيون التواريخ، حوادث وتراجم(٦٨٨-٧١٠هـ)، تحقيق أحمد عبد الستار وزينب علي البنداري، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠١٧م، ج٣، ص ٢٧٩-٢٨٣؛ النعيمي: الدارس، ج١، ص٧٢-٧٣.

(١) هو الخَوَاجَا شمس الدين محمد بن علي بن أبي بكر بن محمد الحلبي الدمشقي، عرف بابن المُزَلِّق بضم الميم وفتح الزاي المشددة، كبير التجار بدمشق، له بدمشق مآثر كثيرة بدرب الشام من الخانات وإصلاح الطرقات، وغير ذلك. توفي وقد زاد على الثمانين في ١٩ جمادى الأولى سنة ٨٤٨هـ/ سبتمبر ١٤٤٤م.(السخاوي: الضوء اللامع، ج٩، ص١٧٣-١٧٤، رقم ٤٢٩؛ النّعيمي: الدارس، ج٢، ص٢٩٠-٢٩١).

(٢) المقريزي: السُلُوك لمَعْرِفَة دُوَلِ المُلوك، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور، الطبعة الرابعة، مركز تحقيق التراث، دَار الكُتب وَالوَثَائِق القَوميَّة، القَاهرة، ١٤٣٦هـ/٢٠١٤م، ج٤ ق٣، ص١١٥٧؛ عبد الباسط بن خليل، نيل الأمل، ج٥، ص٩١.

(٣) هو الخَوَاجَا علاء الدين علي بن شهاب الدين أحمد بن الصابوني ويعرف بنور الدين- أيضًا- قاضي قضاة دمشق وناظر الجيوش بها وبمصر، توفي في رمضان ٩٠٦هـ/مارس ١٥٠١م.(ابن الحمصي(شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر، ت٩٣٤هـ/ ١٥٢٧م): حوادث الزمان ووفيات الشيوخ والأقران، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، الطبعة الأولى، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٩م، ج ٢، ص١٢٠؛ الغَزّي(محمد بن محمد العامري الدمشقي، ت١٠٦١هـ/١٦٥١م): الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، ج١، ص٢٨٠ رقم ٥٥٨).

أصدر مرسومًا بمصادرة والده الخَوَاجَا شهاب الدين أحمد بن الصابوني[١] واعتقاله في قلعة دمشق، واستمر والده تحت العقوبة حتى وفاته في المحرم سنة ٨٧٣هـ/أغسطس ١٤٦٨م، ثم أمر السُّلْطان بإحضار الخَوَاجَا علاء الدين علي بن الصابوني في ربيع الأول من السنة نفسها وأمر بضربه ضربًا مبرحًا، وصادره على مبلغ مائة ألف دينار واستمر تحت العقوبة لدفع المال المقرر، ثم أرسله إلى دمشق لجمع المبلغ، وبعد ذلك أرسل مرسومًا بتخفيف المبلغ إلى سبعين ألف دينار[٢]. ويتضح من ذلك رغبة السُّلْطان في أخذ هذه الأموال باستخدام البطش والعنف، مع إجباره على دفعها من خلال اعتقال والده في دمشق ووضعه تحت المصادرة، وقد علّق ابن تغري بردي[٣] على هذه الحادثة بأنه «قَبض عليه من غير جنحة إلا الطمع في ماله»، وهو ما أكده السخاوي بأن المصادرة كانت «بِدُونِ سَبَب ظَاهر ... بل اعتقل والده هناك ثلاثة أشهر متصلة بموته في محرم التي تليها وكان ذلك باعثًا على الحث في استخلاص المَال»[٤].

أما المصادرات الجماعية للتجار في دمشق فكانت كثيرة ومتنوعة طوال عصر سلاطين المماليك، واختلفت أسبابها من حين لآخر، على نحو ما حدث في جُمادى الأولى ٧١١هـ/ سبتمبر- أكتوبر ١٣١١م، عندما فرض السُّلْطان الناصر محمد بن قلاوون أثناء سلطنته الثالثة(٧٠٩-٧٤١هـ/١٣١٠-١٣٤١م)، على أملاك دمشق وأوقافها ألف وخمسمائة فارس، تكلفة نفقة كل فارس خمسمائة درهم، فيما عُرف بـ«مقرر الخيالة»، وكانت العادة أن يؤخذ مائتا فارس فقط عند قدوم الأعداء على حدود الدولة، يتم جبايتها

---

(١) هو الخَوَاجَا شهاب الدين أحمد بن محمد بن سليمان بن أبي بكر الدمشقي، ويُعرف بابن الصابوني، أحد كبار التجار بدمشق، باشر قضاء دمشق حين تولاه ولده العلاء ابن الصابوني، وبنى جامعًا خارج باب الجابية، توفي بقلعة دمشق تحت المصادرة في المحرم سنة ٨٩٣هـ/ يناير ١٤٨٨م.(السخاوي: الضوء اللامع، ج٢، ص١١٣ رقم ٣٣٩؛ ابن الحمصي: حوادث الزمان، ج١، ص١٨٥ رقم ٢٣٩).

(٢) ابن الصيرفى(علي بن داود الجوهري، ت٩٠٠ هـ/١٤٩٤م): إنباء الهصر بأبناء العصر، تحقيق حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٢ م، ص ٢٢-٢٣، ٣٢-٣٣؛ السخاوي: الضوء اللامع، ج٥، ص ١٨٤-١٨٥؛ البُصرَوي(علاء الدين علي بن يوسف بن أحمد الدمشقي، ت٩٠٥هـ/١٥٠٠م): تاريخ البُصرَوي(صفحات مجهولة من تاريخ دمشق في عصر المماليك من سنة ٨٧١هـ لغاية ٩٠٤هـ)، تحقيق أكرم حسن العلبي، الطبعة الأولى، دار المأمون للتراث، دمشق، ١٩٨٨م، ص٣١، ٣٥-٣٧؛ عبد الباسط بن خليل: نيل الأمل ج٦، ص٣٤٨.

(٣) ابن تَغْري برْدِي(جمال الدِّين أبو المحاسن يُوسُف بن تَغْري برْدي الأتابكي، ت٨٧٤هـ/١٤٧٠م): حوادث الدهور في وقائع الدهور، مخطوط محفوظ بمكتبة الدولة ببرلين رقم Wetzstein I 1، ورقة ١٣٩ ظ.

(٤) السخاوي: الضوء اللامع، ج٥، ص ١٨٥.

من أجرة الأملاك والأوقاف، ونتيجة لكثرة القيمة المُقررة طَلب أكابر دمشق أن يضُموا إليهم التجار وأهل الأسواق في دفعها، مما أسهم في إغلاق الأسواق وتوقف حالات البيع والشراء[١]. وفي رجب- شعبان ٧٤٢هـ/ ديسمبر- يناير ١٣٤١-١٣٤٢م، فرض الأمير قُطْلُوبُغَا الفخري[٢] على تجار دمشق مليون درهم للنفقة على الجيش الذي معه، فكان ما جمعه أكثر من مائة ألف درهم[٣].

وتعددت المصادرات التي لحقت بالتجار في عصر سلاطين المماليك الجراكسة، خاصة في عهد السُّلْطان الناصر فرج(٨٠١-٨١٥هـ/١٣٩٨-١٤١٢م) نتيجة كثرة الاضطرابات وخروج نواب الشام عن الطاعة، على نحو ما حدث في رجب سنة ٨٠٧هـ/ يناير ١٤٠٥م، عندما أعلن الأمير شيخ المحمودي[٤] عصيانه مع نواب الشام على السُّلْطان فرج، حيث قام بمصادرة التجار وأخذ منهم عشرة آلاف دينار[٥]، وبعد ذلك قام

---

(١) اليونيني: ذيل مرآة الزمان، تاريخ السنوات(٦٩٧-٧١١هـ)، دراسة وتحقيق حمزة عباس، الطبعة الأولى، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، المجمع الثقافي، أبوظبي، ٢٠٠٧م، ج٢، ص ١٤٣٤-١٤٣٨،١٤٣٦؛ البرزالي: المقتفي، ج٤، ص٢١؛ ابن كثير (أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، ت ٧٧٤هـ/١٣٧٣م): البداية والنهاية، تحقيق عبد الله المحسن التركي، الطبعة الأولى، دار هجر للطباعة النشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٨م، ج١٨، ص١١١-١١٢.

(٢) هو الأمير سيف الدين قُطْلُوبُغَا بن عبد الله الفَخْري الناصري الساقي، من مماليك الناصر محمد بن قلاوون، قتل بعد ولايته لنيابة دِمَشْق، وسَّطه الناصر أحمد بالكَرَكَ في المحرم سنة ٧٤٣هـ/ يونيو ١٣٤٢م. (ابن قاضي شهبة: تاريخ ابن قاضي شهبة، ج١، ص٢٧٥-٢٧٨؛).

(٣) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٨، ص٤٣٥، ٤٤١.

(٤) هو الأمير شيخ بن عبد الله المحمودي(السلطان فيما بعد)، تولى عدة نيابات في بلاد الشام منها طرابلس ودمشق، ودخل في عصيان وانقلاب مع نواب الشام وأمرائها على السُّلْطان فرج بن برقوق، وانتهى هذا الصراع بمقتل السُّلْطان فرج وتولي الخليفة المستعين بالله العباسي في سنة ٨١٥هـ/١٤١٢م، ثم تولى الأمير شيخ السلطنة بعد خلعه الخليفة في السنة نفسها، ولقب بالسُّلْطان المؤيد شيخ المحمودي، وقد توفي في سنة ٨٢٤هـ/١٤٢١م. (ابن تغرى بردى: الدَّليلُ الشَّافي على المنهَل الصَّافي، حَقَّقَه وَقدَّم له فهيم محمد شلتوت، الطبعة الثانية، مركز تحقيق التراث، دارُ الكتُب وَالوَثَائق القَوميَّة، القاهرة، ١٩٩٨م، ج١، ص٢٤٦رقم١١٩١).

(٥) ابن حِجِّي (شهاب الدين أبي العباس السعدي الحسباني الدمشقي، ت٨١٦هـ/١٤١٣م): تاريخ ابن حِجِّي، ضبط النص وعلق عليه أبو يحي عبد الله الكندري، الطبعة الأولى، دار ابن حزم، بيروت، ٢٠٠٣، ج٢، ص٦٥٦؛ ابن قاضي شهبة(تقي الدين بن أبي بكر بن أحمد الأسدي، ت٨٥١هـ/١٤٤٨م): تاريخ ابن قاضي شهبة، تحقيق عدنان درويش، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، ١٩٩٧م تاريخ ابن قاضي شهبة، ج٤، ص٤٠٥.

بمصادرتهم في ربيع الآخر سنة ٨١١هـ/أغسطس ١٤٠٨م، وأخذ منهم خمسة آلاف دينار[١]. وفي المحرم سنة ٨١٢هـ/ يونيو ١٤٠٩م، قبض الأمير شيخ على عدد من تجار دمشق وقرر عليهم عشرة آلاف دينار بعد إعلان عصيانه على السُلْطان فرج[٢]. كما صادر السُلْطان الناصر فرج التجار بدون وجه حق في رمضان ٨١٣هـ/ يناير ١٤١١م، وذلك للنفقة على مماليكه لقتال الأمراء الخارجين عن طاعته[٣]. وتكرر الأمر في ذي القعدة ٨١٣هـ/ مارس ١٤١١م[٤].

ولم يقف الأمر عند حد المُصادرات وإنما فرضت الدولة الأموال على كبار التجار لتمويل الحملات العسكرية والنفقة على خروج المشاة، على نحو ما حدث في جُمادى الأولى ٨٩١هـ/يونيو ١٤٨٦م، عندما فرض على التجار الخَوَاجَكية وغيرهم تمويل خروج مشاة، كانت نفقة كل ماشٍ خمسة عشر ديناراً أشرفيًا[٥] . وتكرر الأمر في حوادث جُمادى الأولى٨٩٣هـ/ أبريل١٤٨٨م، وربيع الآخر ٨٩٥هـ/ مارس١٤٩٠م، وربيع الآخر- جُمادى الأولى٨٩٦هـ/ فبراير- مارس١٤٩١م[٦].

كما عانى تجار التوابل من الرسوم الجمركية نتيجة عن ارتفاع قيمتها المقررة عليهم، حيث تشير الأحداث في ربيع الآخر سنة ٨٣١هـ/ يناير- فبراير١٤٢٨م، إلى شكوى تجار الشام من حمل البهار الذي يشترونه من جدة إلى القاهرة، والمسافة التي يقطعونها والأضرار الناجمة عن ذلك، فوقع الاتفاق على أن يؤخذ منهم بمكة على كل حِمْل[٧] قلّ ثمنه

---

(١) ابن حِجِّي: تاريخ ابن حِجِّي، ج٢، ص٨٤٢؛ المقريزي: السلوك، ج٤ق١، ص٧٢.

(٢) ابن حِجِّي: تاريخ ابن حِجِّي، ج٢، ص٨٧٤؛ المقريزي: السلوك، ج٤ق١، ص٩٤.

(٣) ابن حِجِّي: تاريخ ابن حِجِّي، ج٢، ص٩٥٣.

(٤) ابن حِجِّي: تاريخ ابن حِجِّي، ج٢، ص٩٦٢؛ المقريزي: السلوك، ج٤ق١، ص١٦٢.

(٥) البُصرَوي: تاريخ البُصرَوي، ص١١٢-١١٣؛ ابن طَوْق:(شهاب الدين أحمد، ت ٩١٥هـ/١٥٠٩م): التعليق(مذكرات كتبت في دمشق في أواخر العهد المملوكي٨٨٥-٩٠٨هـ/ ١٤٠٨-١٥٠٢م)، ج٢، ص ٦٢٥، ٦٢٩.

(٦) ابن طَوْق: التعليق، ج٢، ص ٧٦٥-٧٦٦، ٧٦٧، ٩٣٤، ٩٣٧-٩٣٩؛ عبد الباسط بن خليل: نيل الأمل، ج٨، ص٢٢٤؛ ابن الحمصي: حوادث الزمان، ج١، ص ٣٠٨، ٣٢٢؛ ابن طولون: مُفاكهة الخِلان في حوادث الزمان، تحقيق محمد مصطفي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة،١٩٦٢م، ق١، ص ١١٨-١١٩.

(٧) حِمْل: الجمع أحمال، وهو وحدة للوزن، وكان حمل الدقيق يساوي ثلاثمائة رطل، أي ما يُعادل مائة وخمسة وثلاثون كجم، وحِمْل الفلفل خمسمائة رطل، أي ما يُعادل مائتي وخمسة وعشرون كجم.(فالتر

ثمنه أو كثر ثلاثة دنانير ونصف، مع إعفائهم من حمل بضائعهم من جدة إلى القاهرة، بالإضافة إلى أخذ المكس المعتاد عليهم بدمشق، غير أن ذلك لم يتم بل أُلزم سائر التجار بالحضور إلى القاهرة مع إقامة أعوان يتتبعونهم في الطريق، وهو ما أنزل بهم البلاء والظلم(١)، و تكرر الأمر في حوادث صفر سنة ٨٣٨هـ/ سبتمبر ١٤٣٤م(٢)، وربيع الآخر سنة ٨٣٩هـ/ أكتوبر- نوفمبر ١٤٣٥م(٣).

وفوق كل هذا لجأ بعض السلاطين إلى سياسة احتكار بعض السلع والبضائع، وقد تركت السياسة الاحتكارية آثارها السلبية على التجار الدمشقيين، فعلى سبيل المثال احتكر السُلْطان برسباي(٨٢٤-٨٤١هـ/١٤٢٢-١٤٣٨م)، تجارة الثياب في المحرم سنة ٨٣٢هـ/ أكتوبر١٤٢٨م، عندما علم أن التجار الشاميين القادمين من دمشق وغيرها إلى القاهرة يحصل لهم الربح الوفير من بيع الثياب المنسوجة من القطن، قام بإلزام السماسرة بعدم بيع هذا الصنف لأحد بل يكون متجرًا للسلطان، وكُتب إلى بلاد الشام بعدم تمكين التجار من حمل هذه البضائع إلى القاهرة(٤). كما فَرَض السُلْطان برسباي سياسة البيع القسري(البيع بالإكراه)، التي اصطلح على تسميتها في كتب الحوليات التاريخية المُعاصرة بالطرح ورمي البضائع، حيث طرح على التجار بدمشق والقاهرة في رجب ٨٣٩هـ/ يناير- فبراير١٤٣٦م، ألف حِمْل فلفل بقيمة مائة ألف دينار، بحساب كل حمل مائة دينار، وكان السُلْطان قد اشترى الحِمْل بخمسين دينار(٥)، فبلغ ما حققه من مكاسب النصف من قيمة السلع المطروحة على التجار، وهذا يوضح حرصه على جمع الأموال بشتى الطرق على حساب التجار.

هنتس: المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمه عن الألمانية، كامل العسلي، منشورات الجامعة الأردنية، عمان،١٩٧٠م، ص ٢٦-٢٧).

(١) المقريزي: السلوك، ج٤ق١، ص٧٦٨،٧٩١؛عبد الباسط بن خليل: نيل الأمل، ج٤، ص٢٣١.

(٢) المقريزي: السلوك، ج٤ق٢، ص٩٢٩-٩٣٠؛ ابن فهد(نجم الدين عمر بن محمد بن محمد القرشي الهاشمي المكي الشافعي، ت٨٨٥هـ/١٤٨٠م)، إتحاف الورى بأخبار أم القرى، تحقيق عبد الكريم علي باز، الطبعة الأولى، جامعة أم القرى- مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة، ١٩٨٨م، ج٤، ص٨٠؛ مجهول: حوليات دمشقية، تحقيق حسن حبشي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٨م، ص١١٩-١٢٠؛ عبد الباسط بن خليل: نيل الأمل، ج٤، ص٣٦٤.

(٣) المقريزي: السلوك، ج٤ق٢، ص٩٦٥؛ مجهول: حوليات دمشقية، ص١٥٦.

(٤) المقريزي: السلوك، ج٤ق٢، ص٧٩١-٧٩٢؛ ابن فهد: إتحاف الورى، ج٤، ص٤٣.

(٥) المقريزي: السلوك، ج٤ق٢، ص٩٧٢؛ عبد الباسط بن خليل: نيل الأمل،ج٤، ص٤٠٠.

ومما سبق، يتبيَّن أثر سياسة المصادرات والإجراءات الاقتصادية التعسفية الأخرى التي لجأ إليها بعض سلاطين المماليك ونوابهم بدمشق في إلحاق الظلم والضرر بالتجار.

وإذا كانت الأوقاف وسيلة لتحصين أموال التجار وأملاكهم من المصادرات، والمكوس والإجراءات التعسفية الأخرى التي فرضتها الدولة، فإن ما وجد من النظم المالية قد ساعد بطريق غير مباشر على زيادة الأوقاف وانتشارها، من ذلك ديوان المواريث الحشرية(١)، الذي كانت تؤول إليه تركة المتوفي بلا وارث، أو باقي تركة من له وارث لا يستحق جميع الميراث(٢).

وإلى جانب الدوافع الدينية والاقتصادية-سالفة الذكر- لأوقاف التجار في دمشق كان هُناك دوافع اجتماعية، حيث كان الوقف وسيلة لصلة الأرحام، والصدقة على الفقراء والمساكين وطلاب العلم والايتام الذين كان لهم نصيب وافر من أوقاف التجار. إذ أن من الأركان الأساسية لنظام الوقف – حتى ولو كان وقفًا أهليًا- أن يؤول في النهاية إلى جهة بر لا تنقطع، وهي في الغالب الفقراء والمساكين(٣)، فكان بعض الواقفين من جعل فائض ريع أوقافه لتسبيل الماء العذب، والصدقة على الفقراء، والمساكين، والايتام، وعلاج المرضى، وغير ذلك.

ثانيًا: الأعيان الموقوفة:

ويُقصد بها مصادر الإنفاق على الوقف، وقد توزعت الأعيان الموقوفة على عدة أماكن، وتركز أغلبها في غُوطة(٤) دمشق وقراها، وكانت بعض الأعيان الأخرى في

---

(١) المواريث الحشرية: هي مال من يموت وليس له وارث خاص من أصحاب الفروض أو العصبة أو ذوي الأرحام، أو له وارث ولا يستحق كل ميراثه.(القَلْقَشَنْدي: صُبْح الأعْشَى، ج٣، ص٤٦٤؛ البيومي الشربيني: النظم المالية، ص١٦٨).

(٢) محمد أمين: الأوقاف والحياة الاجتماعية، ص٩٣.

(٣) محمد أمين: الأوقاف والحياة الاجتماعية، ص١٣٤.

(٤) الغُوطة: متنفّس مدينة دمشق، وهي تمتد منها شرقًا وغربًا فتُعرف بالغوطة الشرقيّة والغوطة الغربيّة، والغوطة: لُغة: موضع كثير الماء والشجر.(قتيبة الشهابي: مُعجم دمشق التاريخي للأماكن والأحياء والمُشيدات ومواقعها التاريخية كما وردت في نصوص المؤرخين، منشورات وزارة الثقافة السورية، دمشق، ١٩٩٩م، ج٢، ص٣). وقد ذكر ابن شاهين أنها إقليم قيل إنه أكثر من ثلاثمائة قرية، وبه بعض المدن الصغيرة. انظر:(غرس الدِّين خليل بن شاهين الظَّاهري، ت٨٧٢هـ/١٤٦٨م): زُبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، الطبعة الأولى، المكتبة العصرية- صيدا-بيروت، ٢٠١١م، ص١١٣. وعن حدود الغُوطة وقراها انظر: ابن طولون: ضرب الحوطة، ق١، ص١٥٤-

البِقَاع[١]، وصَيْدا[٢]، وبَعْلَبَكَّ[٣]، وقارا[٤]، وغيرها. وشملت الأعيان القرى، والأراضي، والمزارع، والبساتين، والحقول، والغراس، والكروم، والغيطان، والجَنَائن، والحواكير[٥]، والمعاصر، والطواحين، والحوانيت، والقيَّاسر، والخانات، بالإضافة إلى الدور السكنية، والطباق[٦]، والقاعات[٧]، والحمامات.

وقد تباينت أعداد الأعيان الموقوفة واختلف ترتيبها من وقفية لأخرى، فضلاً عن تفاوت مساحاتها، التي كان محددة في كثير من الأحيان، ففي حالة أن تكون العين موقوفة

١٦١؛ محمد كرد علي: غُوطة دمشق، المجمع العلمي العربي، دمشق، ١٩٥٢م، ص١٤، ٢١-٢٤، ٢١٨-٢٥٠.

(١) البِقَاع: أرض واسعة بين بَعْلَبَكَّ وحمص ودمشق، فيها قرى كثيرة، وأكثر شرب هذه الضياع من عين تخرج من جبل يقال لها عين الجَرّ.(ياقُوت الحَمَوي(شهاب الدِّين أبو عبد الله ياقُوت بن عبدالله، ت ٦٢٦هـ/١٢٢٩م): معجم البلدان، دار صادر، بيروت،١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م، ج١، ص ٤٧٠).

(٢) صَيْدا: مدينة على ساحل بحر الشام من أعمال دمشق شرقيّ صور.(ياقوت الحَمَوي: معجم البلدان، ج٣، ص٤٣٧).

(٣) بَعْلَبَكَّ: مدينة من أعمال دمشق، وقد أصبحت نيابة صغيرة، وكانت في عهد السُّلْطان الناصر محمد بن قلاوون يتولاها أمير عشرة، ثم صارت بعد ذلك يليها أمير طبلخاناه، وولايتها من نائب دمشق، وتشتمل على نحو من ثلاثمائة وستين قرية.(ياقوت: معجم البلدان، ج١، ص٤٥٣؛ القلشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص١٠٩، ٢٠١؛ ابن شاهين: زُبدة كشف الممالك، ص١١٤).

(٤) قارا: أو قارة، قرية كبيرة وهي المنزل الأول من حمص للقاصد دمشق، وكانت آخر حدود حمص وما عداه من أعمال دمشق، وبها عيون جارية يزرعون عليها.(ياقوت الحَمَوي: معجم البلدان، ج٤، ص٢٩٥).

(٥) الحواكير: جمع حاكورة، وهي البستان المسوّر أو المُشجّر بشجر الصبّار أو الورد وغير ذلك، والحكر من المصطلحات الفقهيّة القديمة ويعني: العقار المحبوس الذي يؤجر لأمد طويل، وقد شاع هذا المصطلح في العصر المملوكي خاصّة. ومن ذلك حكر السمّاق والنعناع والزقاق بدمشق. وفي التجارة يُعرف أيضاً بالمحاكرة وهو المكان المخصص لبيع البضائع المستوردة ضمنه إلزاميًا، كي تبقى تحت نظر الدولة.(الشهابي: معجم دمشق، ج١، ص١٧٣-١٧٤).

(٦) الطبقة: والجمع طباق، وفي العمارة المملوكية وحدة سكنية مستقلة، وقد تكون وحدة مستقلة يعبر عنها عاة في الوثائق باسم «طبقة لطيفة»، وقد تكون الطبقة أكبر من ذلك، وقد توصف باعتبارها وحدة سكنية مستقلة بصفات خاصة مثل: « طبقة سفلية» أو«طبقة علوية».(محمد أمين وليلى عبد اللطيف: المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية، ص ٧٥-٧٦).

(٧) القاعات: جمع قاعة، والمقصود بها في العمارة المملوكية وحدة داخل الدار إما بالدور الأرضي أو بالأدوار العلوية، وتستخدم في الغالب للاستقبال أما إذا كانت في المنشآت التجارية فإنها تستخدم في صناعة النسيج أو غير ذلك.(محمد أمين وليلى عبد اللطيف: المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية، ص٨٧).

بتمامها «بكاملها»، تُكتب كلمة «تمامًا»، وإذا كانت حصة منها تكتب مساحتها وبعدها حرف« ط»، وهو اختصار لكلمة قيراط، أو تحدد بالإسهم، وفي حالات أخرى كان يذكر مقدار الريع بالعملة السائدة. وبالنسبة للأراضي وقطع الأراضي فهناك تشابه بينهما أثناء كتابتهما في الدفاتر الثلاثة، فالأراضي كانت غالبًا ما تكتب مفردة، وفي بعض الوقفيات كانت تشتمل على قطعة أرض أو أكثر، فضلا عن تحديد نوعها سواء أكانت أرض بستان أم غيطة أم جنينة. أما قطع الأراضي فمنها ما جاء ككقطعة واحدة، ومنها ما اشتمل على قطعتين أو أكثر، لذا تم دمجهما كنوع واحد من الأعيان. أما في حالة تكرار الوقفية في أكثر من دفتر يكون الاعتماد على أقدم الدفاتر، مع ذكر الأعيان الزائدة إن وجدت في أي من الدفترين الآخرين. وقد تم حصر أعداد هذه الوقفيات وترتيبها وفقًا لتاريخ الوقفية، وفي حالة عدم ذكر التاريخ فيكون من خلال تاريخ وفاة الواقف، هذا بالإضافة إلى الأعيان التي ورد ذكرها في المصادر التاريخية لبعض الوقفيات، وذلك على النحو التالي:

م	الواقف	تاريخ الوقفية	عدد الأعيان الموقوفة	الأعيان الموقوفة	المصدر
	وجيه الدين[١] محمد بن علي التكريتي	غير مذكور[٢]	٥	مزرعتان – طاحونتان– أرض	دفتر تحرير الطابو رقم ٣٩٣، ص ١٥٧؛ دفتر ٦٥٦، ص٧٧.
	شجاع الدين قيس ومحمد بن عبد الغني الاخميمي[٣]	٦٨٧هـ/ ١٢٨٨م	٣	قريتان– أرض ونصف غِراس قديم	دفتر تحر الطابو رقم ٣٩٣، ص ٥٩؛ دفتر ٦٥٦، ص٨٦.

(١) هو وجيه الدين محمد بن علي بن أبي طالب بن سويد التكريتي، أحد أعيان التجار المشهورين بسعة المال والجاه بدمشق، قرّبه السُّلطان الظاهر بيبرس وزاد في حرمته، توفي في شهر شوال سنة ٦٧٠هـ/ مايو ١٢٧٢م، ودفن بتربته بسفح جبل قاسيون.(البرزالي: المقتفي، ج١ق١، ص٢٥٨ رقم ٢١٧؛ الكُتبي، عيون التواريخ، ج١، ص ٥١٣–٥١٤ رقم ٢٢٦) .

(٢) ورد بالوقفية تاريخ النزول والتفويض في سنة ٩١٨هـ/١٥١٢م.

(٣) لم أعثر على ترجمة لهما فيما توفر لدي من مصادر، وقد انفردت وقفية مسجد قيس بصالحية دمشق باسمهما، فالأول هو شجاع الدين قيس بن ابي السرور بن أبي المجد التاجر السَّفَّار، والثاني هو محمد بن عبد الغني الأخميمي، ويبدو من اسمه أنه من أخميم بصعيد مصر، ولا نعلم سبب ذكر اسمه بجانب

	أمين الدين عثمان البُصّ[١]	٧٢٣هـ/ ١٣٢٣م	غير محددة	معصرة- طباق غير محدد عددها- دكاكين غير محددة	النُعيمي: الدارس، ج٢، ص٢٣٣.
	علاء الدين السّنْجاري[٢]	غير مذكور	٦	خمس أراضٍ - محاكرة	دفتر تحرير الطابو رقم ٣٩٣، ص ٢٦؛ دفتر ٦٠٢، ص ١٤١.
	شمس الدين محمد بن أحمد المعروف بابن الصّبّاب[٣]	غير مذكور	١٣	طاحون - حاكورتان- محصول طاحون- سبع أراضٍ -حقل- جنينة	دفتر تحرير الطابو رقم ٦٠٢، ص٢٥٤.
	شمس الدين أفريدون العجمي[٤]	غير مذكور	٢٧	ست أراض- ست بساتين- ست بيوت - مزرعتان -	النُعيمي: الدارس، ج٢، ص٢٢٣-٢٢٤.

شجاع الدين قيس في وقفية هذا المسجد، ربما يكون اشترك معه في بناء المسجد ووقفه، وعرف المسجد بين العامة باسم قيس واشتهر على ذلك، أما تاريخ وفاتهما فيُرجح أنها بعد سنة ٦٨٧هـ/١٢٨٨-١٢٨٩م.

(١) هو أمين الدين عثمان بن أبي بكر بن محمد بن عمر المعروف بالبُصّ التاجر، كان رجلا صالحًا، انفق من أمواله في وجوه البر والخير، توفي في ذي الحجة سنة ٧٣١هـ/ سبتمبر ١٣٣١م.(ابن الجزري: حوادث الزمان، ج٢، ص ٥٠٨ رقم ٥٩٥).

(٢) هو علاء الدين علي بن إسماعيل بن محمود السنجاري، التاجر السّقّار المشهور، أنشأ دار القرآن السنجارية، توفي بالقاهرة في جُمادى الآخرة سنة ٧٣٥هـ/فبراير ١٣٣٥م.(ابن الجزري: تاريخ حوادث الزمان، ج٣، ص٨٠٤ رقم ١٠٠٦؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٨، ص ٣٧٨).

(٣) هو الصَّدر شمس الدين محمد بن أحمد بن محمد بن أبي العزّ الصبَّاب الحَرّاني الدمشقي التاجر السَّفَّار، باني دار القرآن الصبابية بدمشق، والتي تُعرف بالمدرسة الصبابية، وجعله دار قرآن وحديث للحنابلة، ووقف عليها هو وغيره أوقافًا كثيرة، توفي في جُمادى الآخرة سنة ٧٤٩هـ/ سبتمبر ١٣٤٨م.(ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٨، ص٥٠٥-٥٠٦؛ ابن قاضي شهبة: تاريخ ابن قاضي شهبة، ج١، ص١٣٤).

(٤) هو شمس الدين أفريدون العجمي التاجر، واقف دار القرآن الأفريدونية، والمعروفة بالمدرسة الأفريدونية، توفي في رجب سنة ٧٤٩هـ/سبتمبر ١٣٤٨م.(ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٨، ص٥٠٦؛ ابن قاضي شهبة: تاريخ ابن قاضي شهبة، ج١، ص٥٧٣-٥٧٤).

				قاعتان – قرية – حصة من خان– محاكرة– اصطبل – ربع قيسارية	
	الخَوَاجَا غياث الدين محمد بن إبراهيم الكُجُجاني[1]	غير مذكور[2]	٢	مزرعة –حمام	دفتر تحرير الطابو رقم ٣٥٣، ص ٩٨؛ رقم ٦٠٢، ص١٧٣.
	الخَوَاجَا شمس الدين محمد بن المُزَلِّق	٨٠٦هـ/ ١٤٠٣– ١٤٠٤م	١	أرض	دفتر تحرير الطابو رقم ٦٠٢، ص١٨٨.
	الخَوَاجَا برهان الدين إبراهيم الإسعردي	٨١٧هـ/ ١٤١٤م	١٧	طاحون – غراس– بيت– عمارة – دكاكين– ثلاثة دكاكين–ثلاث بساتين– خمس أراض– قريتان	دفتر تحرير الطابو رقم ٣٩٣، ص ١٢؛ دفتر ٦٠٢، ص ٩٩؛ دفتر ٦٥٦، ص١٥٩.
	الخَوَاجَا شمس الدين محمد بن علي بن أبي بكر المُزَلِّق	٨٤٤هـ/ ١٤٤٠– ١٤٤١م	٧٠	تسع وثلاثون أرضًا– أربع كروم– عشر بستان– خمس مزارع– أربع طواحين– ثلاث قرى– ثلاث جنائن– غيطتان	دفتر تحرير الطابو رقم ٣٩٣، ص ٨٢– ٨٣؛ دفتر ٦٥٦، ص ١٢٧–١٢٨.

(١) هو الخَوَاجَا غياث الدين محمد بن إبراهيم بن أحمد شاه الكُجُجي التبريزي البغدادي، المعروف بخَوَاجَا شيخ، قدم دمشق وبنى بها الخَانقَاه بالشَّرف الأعْلى في سنة٧٦١هـ/١٣٦٠م، مات مقتولا في بغداد في صفر سنة ٧٩٥هـ/ديسمبر ١٣٩٢م.(ابن قاضي شهبة: تاريخ ابن قاضي شهبة، ج٣، ص٤٩١).

(٢) ورد بالوقفية تاريخ تسجيلها في سنة ٨٥٧هـ/١٤٥٣م.

	الخَوَاجَا شمس الدين محمد بن المُزَّلِّق	غير مذكور[١]	٣٨	قرية- بستانان- دكانان-قيسارية واصطبل ودكاكين- اثنان وثلاثون أرض	دفتر تحرير الطابو رقم ٦٠٢، ص ١٨٧-١٨٨.
	الخَوَاجَا شهاب الدين أحمد بن دلامة[٢]	٨٤٧هـ/ ١٤٤٣-١٤٤٤م[٣]	٢	غِراسان	دفتر تحرير الطابو رقم ٣٩٣، ص ١١٨.
	الخَوَاجَا شمس الدين محمد بن عمر بن الزَّمِن[٤]	٨٤٩هـ/ ١٤٤٥-١٤٤٦م	١	قرية	دفتر تحرير الطابو رقم ٣٥٣، ص٢٠؛ رقم ٦٠٢، ص٨٩؛ دفتر ٦٥٦، ص ١٦٧.
	الخَوَاجَا شمس الدين محمد بن	٨٥٩هـ/ ١٤٥٥م	٧	غِراسان- قيساريتان-	دفتر تحرير الطابو رقم ٣٩٣، ص ١٨٣؛

(١) ورد بالوقفية تاريخ تسجيلها في سنة ٨٥١هـ/١٤٤٧م.

(٢) هو الخَوَاجَا شهاب الدين أحمد بن زين الدين دُلامة بن عز الدين نصر الله البُصّري، أحد كبار أعيان التجار الخَوَاجَكية بدمشق، أنشأ دار القرآن الكريم الدُلاميَّة ووقفها في سنة ٨٤٨هـ/١٤٤٣-١٤٤٤م، توفي ودُفن بمدرسته في المحرم سنة ٨٥٣هـ/مارس ١٤٤٩م.(السخاوي: الضوء اللامع، ج١، ص ٢٩٩؛ ابن الحمصي: حوادث الزمان، ج٣، ص٩٢ رقم ٢٢).

(٣) التاريخ المدون للوقفية هو سنة ٨٩١هـ/١٤٨٦م، كما دون تاريخ تسجيلها في سنة ٩٠٠هـ. وبالنسبة لتاريخ الوقفية فهو خطأ، لأن وفاة الواقف كانت في سنة ٨٥٣هـ/١٤٤٩م، ومن حسن الحظ أن النعيمي اطلع على كتاب الوقف وهو مؤرخ في سنة ٨٤٧هـ/١٤٤٣-١٤٤٤م.(للمزيد انظر: الدارس، ج١، ص٩؛ ابن طولون: القلائد، ص١٢٥).

(٤) هو الخَوَاجَا شمس الدين مُحَمَّد بن السراج عمر بن مُحَمَّد بن عمر الزَّمن الدِّمَشْقِي، وَيعرف بِابْن الزَّمِن، أحد أعيان التجار في مصر وبلاد الشام، وأنشأ وجدّد كثير من المنشآت الدينية والعمرانية في مصر وبلاد الشام والحجاز، وكان على علاقة وطيدة بالسُّلْطان الأشرف قايتباي وتولى الإشراف على عمائره في مكة المكرمة والمدينة المنورة، توفي في شوال سنة ٨٩٧هـ/ أغسطس ١٤٩٢م.(انظر: السخاوي: الضوء اللامع، ج٨، ص٢٦٠-٢٦٢ رقم ٧٠٣؛ ابن المَلاَّ الحَصكَفي(أحمد بن محمد الحلبي الشافعي، ت١٠٠٣هـ /١٥٩٥م): مُتْعَةُ الأَذهَان من التمتع بالإقران بين تراجم الشيوخ والأقران، انتقاه من كتاب: التمتع بالإقران لابن طولون الصالحي، تحقيق صلاح الدين خليل الشيباني الموصلي، دار صادر بيروت، ١٩٩٩م، ج٢، ص٦٤٩ رقم ٧٤٣).

	أبي بكر النحاس الدمشقي [1]			بستانان- قطعة أرض	دفتر ٦٠٢، ص ١٦١-١٦٢؛ دفتر ٦٥٦، ص٧٣.
	الخَوَاجَا شمس الدين محمد بن الزَّمِن	٨٦٤هـ/ ١٤٥٩-١٤٦٠م	٣	ثلاث قرى	دفتر تحرير الطابو رقم ٦٠٢، ص٨٩.
	الخَوَاجَا شمس الدين محمد بن الزَّمِن	٨٦٤هـ/ ١٤٥٩-١٤٦٠م	١	قرية	دفتر تحرير الطابو رقم ٦٠٢، ص٨٩.
	الخَوَاجَا شمس الدين محمد بن الزَّمِن	٨٦٦هـ/ ١٤٦١-١٤٦٢	١	قرية	دفتر تحرير الطابو رقم ٦٠٢، ص١٢٦.
	الخَوَاجَا شمس الدين محمد بن الزَّمِن	٨٦٦هـ/ ١٤٦١-١٤٦٢	٤	ثلاث قري- غراس	دفتر تحرير الطابو رقم ٦٠٢، ص١٢٦.
	الخَوَاجَا شمس الدين محمد بن الصباغ[2]	٨٦٦هـ/ ١٤٦١-١٤٦٢	١١	ست أراضٍ- ثلاث بساتين-حقلان	دفتر تحرير الطابو رقم ٣٩٣، ص ١٢١؛ رقم ٦٠٢، ص٣١٩.
	الخَوَاجَا شمس الدين محمد بن الصباغ	٨٦٧هـ/ ١٤٦٢-١٤٦٣م	٦	حقلان- ثلاث قطع أراضي- قطعة أرض	دفتر تحرير الطابو رقم ٣٩٣، ص ١٢١؛ رقم ٦٠٢، ص ٣٢٠.
	الخَوَاجَا حسن بن محمد بن المُزَلِّق[1]	٨٦٨هـ/ ١٤٦٣-١٤٦٤م	٦	أربع قرى - مزرعتان	دفتر تحرير الطابو رقم ٦٠٢، ص ١١٩؛ دفتر ٦٥٦، ص ١٢٩.

(١) هو الخَوَاجَا شمس الدين محمد بن أبي بكر بن إسماعيل النحاس الدمشقي، توفي بجدة في شهر رجب سنة ٨٦٢هـ/يونيو ١٤٥٨م.(ابن فهد: إتحاف الورى، ج٤، ص٣٩٢؛ السخاوي: الضوء اللامع، ج١١، ص٢٧٣).

(٢) لم أعثر على ترجمة له فيما توفر لدي من مصادر.

	الخَوَاجَا نور الدين علي بن أحمد بن الصابوني	٨٦٩هـ/ ١٤٦٤-١٤٦٥م	٧	أربع قرى- مزرعتان-بستان	دفتر تحرير الطابو رقم ٣٩٣، ص ١٦٨؛ رقم ٦٠٢، ص ٢٧٧.
	الخَوَاجَا شهاب الدين أحمد بن الصابوني	٨٧٢هـ/ ١٤٦٧-١٤٦٨م	٥٢	ثلاث عشرة أرضًا- عشرة بساتين- ست قرى- خمس جنائن- تسع دكاكين- ثلاث خانات-معصرة - داران-بيت-قاعة- عمارة	دفتر تحرير الطابو رقم ٦٠٢، ص ١٦٤-١٦٥؛ دفتر ٦٥٦، ص٥٣-٥٤.
	الخَوَاجَا شهاب الدين أحمد بن الصابوني	غير مذكور ويُرجح أنه تاريخ الوقفية السابقة	١	قريتان	دفتر تحرير الطابو رقم ٦٥٦، ص ٥٤.
	برهان الدين إبراهيم بن قنديل[٢]	٨٧٩هـ/ ١٤٧٤-١٤٧٥م	١	مزرعة	دفتر تحرير الطابو رقم دفتر ٦٠٢، ص ٢٠٠-٢٠١؛ دفتر

(١) هو الخَوَاجَا بدر الدين حسن بن محمد بن المُزَلِّق الدمشقي، اشتغل بالتجار مثل والده وجال الأقطار بسببها، تولى إمرة جدة ونظر جيش الشام أكثر من مرة، وكانت له كثير من الأوقاف وأعمال الخير، توفي بدمشق في ذي الحجة سنة ٨٧٨هـ/أبريل ١٤٧٤م.(السخاوي: الضوء اللامع ج٣، ص ١٢٦ رقم ٤٨٥، ابن الحمصي: حوادث الزمان ج١، ص٢٠٤ رقم ٢٦٧).

(٢) هو الخَوَاجَا برهان الدين إبراهيم بن حسن بن قنديل الصالحي، أحد التجار الكبار بدمشق، وكان من ذوي الخيرات، توفي في شهر رجب سنة ٨٨٨هـ/أغسطس ١٤٨٣م.(السخاوي: الضوء اللامع، ج١، ص١٨٨؛ ج١١، ص٢٦٧؛ ابن فهد(عز الدين عبد العزيز بن نجم الدين عمر بن محمد القرشي= =الهاشمي المكي، ت٩٢٢هـ/ ١٥١٦م): بُلوغ القرى في ذيل إتحاف الورى بأخبار أُمّ القرى، تحقيق

					٦٥٦، ص ٢٠٣.
	شرف الدين عيسى بن عبد الله القاري[١]	٨٨٣هـ/ ١٤٧٨-١٤٧٩م	١٢٣	مائة وثمانية أرضًا-ثلاث قرى-ثلاث بساتين-ثلاث مزارع-جنينة - غيطة-حصة-كرم-حقل- مزاز	دفتر تحرير الطابو رقم ٦٠٢، ص ٣-٥؛ دفتر ٦٥٦، ص ١٠٩-١١٢.
	فخر الدين عثمان القاري[٢]	٨٨٦هـ/ ١٤٨١-١٨٢م	٢	قرية -غيطة	دفتر تحرير الطابو رقم ٣٩٣، ص٦٩؛ دفتر ٦٥٦، ص١٨٤.
	فخر الدين عثمان القاري	٨٨٦هـ/ ١٤٨١-١٨٢م	١٣	أربع أراضٍ- ثلاثة كروم- غيطتان- غراس- بستان- بيت- عمارة	دفتر تحرير الطابو رقم ٦٠٢، ص ٢٠٤-٢٠٥.
	الخَوَاجَا زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن دُلامة[٣]	٨٨٦هـ/ ١٤٨١-١٤٨٢م	٧	أربع قرى-غراسان-مزرعة	دفتر تحرير الطابو رقم دفتر ٦٠٢، ص ٧٦؛ دفتر ٦٥٦، ص ١٩٣.

ودراسة صلاح الدين بن خليل إبراهيم وآخران، الطبعة الأولى، دار القاهرة، القاهرة، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م، ج١، ص٢٨٦؛ ابن المُلا الحَصْكفي: مُتْعَةُ الأَذهَان، ج١، ص٢٦٤ رقم ٢١٥).

(١) هو الخَوَاجَا شرف الدين عيسى القاري الدمشقي، كبير التجار بها، ممن حج وجاور أكثر من مرة، وكان فيه خير للفقراء وإحسان، تعرّض للمُصادرة في أواخر حياته بسبب مال البهار، وطُلب إلى القاهرة وأخذ منه مبلغ كبير، توفي في شعبان ٨٩٥هـ/يوليو ١٤٩٠م.(السخاوي: الضوء اللامع، ج٦، ص١٥٨ رقم ٥٢٣؛ البُصرَوي: تاريخ البُصرَوي، ص١٤٢؛ ابن طولون: مفاكة الخلان، ق١، ص١٣٢).

(٢) هو الخَوَاجَا فخر الدين عثمان بن عبد الله بن يعقوب القاري الدمشقي، أحد كبار التجار بدمشق، توفي بمكة في جُمادى الآخرة سنة ٨٨٨هـ/يوليو ١٤٨٣م.(الضوء اللامع، ج٥، ص١٣٣، ١٤٤، رقم ٤٩٣؛ ابن فهد: بلوغ القرى، ج١، ص ٢٨٥). وقد ورد اسم والده بالوقفية باسم: الجمالي يوسف.

(٣) هو الخَوَاجَا زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن دُلامة، ناظر الجوالي بدمشق، لم أعثر على تاريخ وفاته، غير أنه كان حيًا سنة ٨٨٦هـ/١٤٨٠م.(ابن طولون: مُفاكهة الخِلان، ق١، ص٢٧، ٤٧).

	شمس الدين محمد بن القونسي[١]	٨٨٨هـ/ ١٤٨٣م	٣	ثلاثة أغرس	دفتر تحرير الطابو رقم ٣٩٣، ص ٩٤؛ دفتر ٦٠٢، ص٢٥٥؛ دفتر ٦٥٦، ص ٢٣٥.
	الخَوَاجَا جمال الدين يوسف بن قبّاس[٢]	٨٩٠هـ/ ١٤٨٥م	٣	قريتان- بيت	دفتر تحرير الطابو رقم ٣٩٣، ص٢٢؛ دفتر ٦٠٢، ص ١٠٣؛ دفتر ٦٥٦، ص ٢٦٣.
	شمس الدين محمد بن القونسي	٨٩٢هـ/ ١٤٨٧م	٤	أربعة أغرس- جنينة-غيطة	دفتر تحرير الطابو رقم ٣٩٣، ص ٩٤؛ دفتر ٦٠٢، ص٢٥٦؛ دفتر ٦٥٦، ص ٢٣٥.
	شرف الدين عيسى بن عبد الله القاري	٨٩٢هـ/ ١٤٨٧م	١٩	قرية-غراس-إحدى عشرة أرض-أربعة حقول-بستانان	دفتر تحرير الطابو رقم ٦٠٢، ص ٥-٦.
	الخَوَاجَا شمس الدين محمد بن عيسى القاري[٣]	٨٩٢هـ/ ١٤٨٧م	١	مزرعة	دفتر تحرير الطابو رقم ٣٩٣، ص ١٩؛ دفتر ٦٠٢، ص ١١١؛ دفتر ٦٥٦، ص ١١٢.
	شمس الدين	٨٩٣هـ/	٦	أرضان-قرية-	دفتر تحرير الطابو

(١) هو الخَوَاجَا شمس الدين محمد بن عمر بن القونسي(القونصي)، من كبار التجار بدمشق، قتل في بلاد بعلبك ونُقل إلى دمشق في جُمادى الآخرة سنة ٨٩٩هـ/مارس ١٤٩٤م.(ابن الحمصي: حوادث الزمان، ج١، ص٣٥٣ رقم ٤٨٨؛ ابن طولون: فاكهة الخلان، ق١، ص١٦٠).

(٢) هو الخَوَاجَا جمال الدين يوسف بن قباس، التاجر بسوق الذراع، توفي في مستهل ذي الحجة سنة ٨٩١هـ/نوفمبر ١٤٨٦م.(ابن المُلا الحَصْكفي: مُتْعَةُ الأَذْهَان، ج٢، ص٨٤٧ رقم ٩٨١).

(٣) هو الخَوَاجَا محمد بن عيسى بن إبراهيم القاري، اشتغل كأبيه بالتجارة، توفي في صفر سنة ٩٠٠هـ/نوفمبر ١٤٩٤م، بعد أن صادره السُّلْطان قايتباي في مال أبيه، وقد وزن منها مائة ألف دينار، فلم يهنأ بها.(السخاوي: الضوء اللامع، ج٨، ص٢٧٤-٢٧٥ رقم ٧٤٠؛ ابن المُلا الحَصْكفي: مُتْعَةُ الأَذْهَان، ج٢، ص٧٣٥ رقم ٨٤٠).

	محمد بن إبراهيم الصفي[1]	١٤٨٨م		طباق-دكان-غراس	رقم ٣٩٣، ص ١٦؛ دفتر ٦٠٢، ص ٤٣.
	شمس الدين محمد بن علاء الدين علي بن عمر القونسي	٨٩٧هـ/ ١٤٩١-١٤٩٢م	٣	أرض-غراسان	دفتر تحرير الطابو رقم ٣٩٣، ص ٩٤؛ دفتر ٦٠٢، ص ٢٥٦.
	الخَوَاجَا شمس الدين محمد بن عيسى القاري	٨٩٩هـ/ ١٤٩٣-١٤٩٤م	٤	أرض-غراس-قرية-مزرعة	دفتر تحرير الطابو رقم ٣٩٣، ص ١٩؛ دفتر٦٠٢، ص١١١؛ دفتر٦٥٦، ص ١١٢.
	الخَوَاجَا شمس الدين محمد بن يوسف القاري[2]	٩٠٠هـ/ ١٤٩٤-١٤٩٥م	٣	داران- قيسارية	دفتر تحرير الطابو رقم ٣٩٣، ص ٢٤؛ دفتر ٦٥٦، ص ١١٣.
	الخَوَاجَا علاء الدين علي بن أحمد بن الصابوني	٩٠٣هـ/ ١٤٩٨-١٤٩٩م	٤	ثلاث قرى - مزرعة	دفتر تحرير الطابو رقم ٣٩٣، ص ٨٥؛ دفتر ٦٠٢، ص ١٦٧.
	الخَوَاجَا عبد الغني بن المُزَّلِّق[3]	٩٠٥هـ/ ١٤٩٩-١٥٠٠م	١٣	قرية- ست أراضٍ- حقل-مزرعتان- كرم-غراسان	دفتر تحرير الطابو رقم ٣٩٣، ص ١٤؛ دفتر ٦٥٦، ص ١٢٧.

(١) هو الخَوَاجَا شمس الدين محمد بن إبراهيم الصفيّ، توفي وهو مسافر إلى البقاع ونقل إلى دمشق في مستهل شهر شوال سنة ٨٩٣هـ/سبتمبر ١٤٨٨م.(ابن طَوْق: التعليق، ج٢ ص ٧٩٥؛ ابن الحمصي: حوادث الزمان، ج١، ص٣١٢ رقم ٤٠٣).

(٢) هو الخَوَاجَا شمس الدين محمد يوسف القاري، كبير التجار بدمشق، تولى نيابة جدة، توفي في الطريق أثناء توجه من جدة إلى مكة، ودفن بمقبرة المعلاة بمكة في ربيع الآخر سنة ٩١٨هـ/ مايو ١٥١٢م. (ابن فهد: بلوغ القرى، ج٣، ص ١٨٣٤؛ ابن الحمصي: حوادث الزمان، ج٢، ص٢٣٣ رقم ٧٧٠).

(٣) هو الخَوَاجَا زين الدين عبد الغني بن ناصر الدين محمد بن المُزَّلِّق، ناظر وقف الخواجا شمس الدين محمد بن المُزَّلِّق، توفي بدمشق في جُمادى الآخرة سنة ٩١٦هـ/سبتمبر ١٥١٠م.(النعيمي: العنوان في ضبط مواليد ووفيات أهل الزمان، مخطوط بمكتبة جامعة لايبزيك، ألمانيا، رقم Vollers 847a، ورقة

	الخَوَاجَا عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عتور[١]	٩١١هـ/ ١٥٠٥-١٥٠٦م	٢	بستان-قطعة أرض	دفتر تحرير الطابو رقم ٦٠٢، ص ٢٤٤؛ دفتر ٦٥٦، ص ١١٨.
	الخَوَاجَا زين الدين عبد القادر بن محمد بن عيسى القاري[٢]	٩٢٢هـ/ ١٥١٦م	١٣	بستانان-غراسان-قيساريتان-خانان - غيطتان -حقل-أرض- مكان آخر لم استطع قراءته	دفتر تحرير الطابو رقم ٦٠٢، ص ٢٠٦.

من قراءة الجدول السابق يتبيّن تنوع مصادر الوقف، وتركز أغلبها في الأراضي، والبساتين، والمزارع، والغراس، والجنائن، والغِيطان، والكروم داخل قرى دمشق بصفة خاصة وقرى بلاد الشام بصفة عامة، وهو ما يشير إلى حدوث استثمار اقتصادي بداخلها، كنوع من تنشيط الحياة الاقتصادية فيها.

كذلك شملت الأعيان الموقوفة عددًا من المنشآت التجارية والصناعية كالقياسر والخانات، والدكاكين والطواحين، والمعاصر، والتي تركز أغلبها في مدينة دمشق، وهو أمر منطقي باعتبار هذه المدينة من أهم المدن التجارية في بلاد الشام في عصر سلاطين المماليك، حيث شهدت حركة تجارية مزدهرة على المستويين الداخلي والخارجي، بالإضافة إلى الدور السكنية والطباق، وغير ذلك.

ثالثًا: إدارة الأوقاف:

تعددت الأعيان الموقوفة واتسعت رقعتها، وكان العمل على صيانتها والعمل على دوام عمارتها يتطلب وجود مجموعة من الوظائف تقوم على هذه المهمة على مدار السنة لإدارة هذه الأوقاف واستخراج ريعها وصرفه في جهاته طبقًا لشرط الوقف، وكان المسؤول الأول عن الوقف هو الناظر، وقد جرت العادة أن يتولى الواقف النظر على أوقافه أثناء حياته، ثم

١٥و؛ ابن الحمصي: حوادث الزمان، ج٢، ص١٩٩ رقم ٧١٣؛ ابن المَلا الحَصْكفي: مُتْعَةُ الأَذْهَان، ج١، ص٤٣٤ رقم ٤٤٣).

(١) لم أعثر على ترجمة له فيما توفر لدي من مصادر، وقد ورد ذكره في سياق ترجمة ابنه شهاب الدين أحمد، المتوفى في سنة ٩٤٥هـ/١٥٣٥-١٥٣٦م(انظر: الغَزّي: الكواكب السائرة، ج٢، ص ١٠٤).

(٢) لم أعثر على ترجمة له فيما توفر لدي من مصادر.

يعهد بعد ذلك من بعده لأولاده وذريته، أو لأحد القضاة، أو يعهد بالنظر لأحد عتقائه وذريتهم[١]. ونظرًا لكون الناظر هو المسؤول الأول عن الوقف، فكانت عمارة الوقف وإصلاحه من أهم الأمور التي ينبغي عليه القيام بها، فكان« من حقّه العمارة والتنمية»[٢]، « وترميمه وإصلاحه، وما فيه بقاء عينه، وتحصيل غرض واقفه»[٣].

وقد نصت كثير من أوقاف التجار على صيغ متشابهة تختص بمهام النظر في الوقف، والتي كانت ترد عادة في بداية ملخص الوقفيات المسجلة ومنها: «على أن يبدأ الناظر بعمارته واصلاحه وصلاحه»[٤]، «على أن يبدأ الناظر في عمارته واصلاحه»[٥]، « يبدأ من له النظر في ذلك بعمارته واصلاحه»[٦]، «على أن الناظر في هذا الوقف يبدأ من محصوله بعمل مصالحه»[٧]، «على أن يبدأ الناظر بعمارته واصلاحه وما فيه بقاء العين الموقوف»[٨]، «ثم من بعده يبدأ الناظر بعمارته وترميمه»[٩].

ويتضح من الأمثلة السابقة حرص الواقفين على أن يقوم نُظار الوقف بعمارته وإصلاحه وصلاحه، وتدبير أموره، واستمرار بقاءه في حياتهم وبعد وفاتهم، مما يُشير إلى أن مسؤولية الناظر الأولى كانت المحافظة على الوقف من الخراب.

وفيما يتعلق بشروط الواقفين حول من يتولى النظر على الوقف، فقد اختلفت من وقفية لأخرى، وكذلك تفاوتت أجور الناظر بطبيعة الحال، فتذكر وقفية المدرسة الإسعردية المؤرخة في المحرم سنة ٨١٧هـ/ أبريل ١٤١٤م، شروط النظر، ومهام الناظر، فقد جعل

---

(١) محمد أمين: الأوقاف والحياة الاجتماعية، ص٣٠٣-٣٠٤.

(٢) السُبكي(تاج الدين عبد الوهاب السبكي، ت ٧٧١هـ/١٣٧٠م): مُعيد النعم ومبيد النقم، الطبعة الثانية، دار الحداثة، بيروت، ١٩٨٥م، ص٦٤.

(٣) السيوطي: جواهر العقود، ج١، ص ٣٢٩.

(٤) وقفية شمس الدين محمد بن النحاس، بتاريخ ٨٥٩هـ، دفتر تحرير الطابو رقم ٦٠٢، ص١٦١.

(٥) وقفية شمس الدين محمد بن عمر بن الزَّمِن، بتاريخ ٨٦٤هـ، دفتر تحرير الطابو رقم ٦٠٢، ص ٨٩.

(٦) وقفية شمس الدين محمد بن عمر بن الزَّمِن، بتاريخ ٨٦٦هـ، دفتر تحرير الطابو رقم٣٩٣، ص١٢١؛ دفتر ٦٠٢، ص ٣١٩.

(٧) وقفية نور الدين علي بن أحمد بن الصابوني، بتاريخ ٨٦٩هـ، دفتر تحرير الطابو رقم٣٩٣، ص ١٦٨؛ دفتر ٦٠٢، ص ٢٧٧.

(٨) وقفية شرف الدين عيسى القاري، بتاريخ ٨٨٣هـ، دفتر تحرير الطابو رقم ٦٠٢، ص٣؛ دفتر ٦٥٦، ص ١٠٩.

(٩) وقفية زين الدين عبد القادر بن محمد بن عيسى القاري، بتاريخ ٩٢٢هـ، دفتر تحرير الطابو رقم ٣٩٣، ص٨٥؛ دفتر ٦٠٢، ص٢٠٥.

الخَوَاجَا ابن الإسعردي النظر لنفسه، وأن لـه الحق في التفويض والإسناد والوصية بـه، وأن يكون مع المفوض والمسند إليه مشاركة الأرشد فالأرشد من أولاده ونسله وذريته، وفي حالة وفاته دون اسناد وتفويض، أو انقطع الاسناد والتفويض، كان النظر مستقلاً به الارشد فالأرشد من أولاده، ثم نسله وذريته. وفي حالة عدم رُشد الأبناء يكون للمتكلم عليهم، حتى يتأهل أحدهم ويبلغ رشده يعود النظر عليه، كما شرط أنه في حالة انقراض الذرية يكون النظر لتاجر من تجار الكارم[١] بدمشق، ويكون من أكابر التجار، ويشاركه في النظر شيخ المدرسة. وأعطى للناظر بعض الصلاحيات، ومنها أن يجعل وظيفة الإمامة والمشيخة وقراءة المصحف مع رجل واحد من أعيان القراء، وله حق الاستبدال إذا كان في استبدال صاحب الوظيفة مصلحة. وعليه أن يبدأ بعمارة الموقوف والمدرسة والتربة واصلاح ذلك وصلاحه من ريع الوقف. كما شرط عليه أن لا يؤجر الأعيان الموقوفة أكثر من سنة واحدة، ولا يكتب عقدًا جديدًا حتى ينتهي العقد القديم. وإذ كانت مصلحة الوقف في ايجار سنتين، يقوم بتأجير الأعيان في هذه المدة دون زيادة. وعليه أن لا يمكن أحدًا من أرباب الوظائف من النزول، ومن أراد الانصراف قرر الناظر مكانه، ولا يستنيب أحدًا منهم إلا بعذر شرعي، وإن طال العذر استبدله بشخص آخر[٢] لوحة(١). وكل هذا يعكس توظيف التجار لمهارتهم الاقتصادية في إدارة أوقافهم ومحاولة استغلالها الاستغلال الأمثل.

وجاء في وقفية الخانْقاه الكُجُجانية [٣]، أن يكون النظر للواقف، ومن بعده لأخيه ثم للأرشد من ذريته ومن بعده لقاضي القضاة الشافعي بدمشق، وشرط أن يكون للناظر عُشر متحصل الوقف[٤]. في حين جعل الخَوَاجَا شمس الدين بن المُزَلِّق النظر على نفسه ثم من

---

(١) تجار الكارم: أو الكارمية فئة من كبار التجار اشتغلوا باحتكار تجارة الهند والشرق الأقصى في التوابل وغيرها من السلع الأخرى. وقد اختلفت التفسيرات حول كلمة كارم، فقد رأى أحد الباحثين أنها كلمة هندية وليس عربية، وتعنى الأعمال أو الأشغال، في حين فسرها آخر بأنها حرفة التجارة في البحار.(لمزيد من التفاصيل انظر: عطية القوصي: أضواء جديدة على تجارة الكارم من واقع وثائق الجنيزة، المجلة المصرية للدراسات التاريخية، المجلد الثاني والعشرون، القاهرة، ١٩٧٥م، ص ١٧، ٢٥-٢٦).

(٢) دفتر تحرير الطابو رقم ٣٩٣، ص١٢؛ رقم ٦٠٢، ص ٩٨-٩٩؛ دفتر ٦٥٦، ص ١٥٩؛ وقفية المدرسة المدرسة الإسعردية، من نشر: جعفر الحسني، ص ٥٩٧-٥٩٨.

(٣) الخانْقاه الكُجُجانية: كانت تقع خارج دمشق بالشرف الأعلى جوار الخانقاه الطواويسية.(ابن قاضي شهبة، شهبة، تاريخه، ج٢، ص ١٦٥، ج٣، ص٤٩١؛ النعيمي: الدارس، ج٢، ص١٦٨؛ العلبي: خطط دمشق، ص٤٠٥).

(٤) وقفية غياث الدين محمد بن إبراهيم التبريزي الكُجُجني، تاريخ السجل ٨٥٧هـ، دفتر تحرير الطابو رقم ٣٩٣، ص٩٨؛ دفتر٦٠٢، ص١٧٣.

بعده للأرشد من أولاده وذريته، دون أن يُشير لما يتقاضاه عن النظر[١]، كما حدد في وقفية التربة المُزَلّقية[٢] أن يُصرف للناظر ثلاثمائة درهم[٣]، في حين تقاضى الناظر في المدرسة الدُلاميَّة[٤] ستين درهمًا[٥]. وقرر الخَوَاجَا شمس الدين محمد بن الصباغ في وقفيته المؤرخة في سنة ٨٦٧هـ/١٤٦٢-١٤٦٣م، أن يُصرف للناظر مبلغ ألف درهم سنويًا [٦] لوحة(٢). كما نصّت وقفية المدرسة الصابونية[٧]، أن النظر يكون للواقف، وبعد ذلك على ذريته، وبعد وبعد ذلك يكون نصف النظر لحاجب دمشق والنصف الآخر للإمام، ويُصرف للناظر عُشر ريع الوقف، كما جعل لابنه علاء الدين علي بن الصابوني حرية الإدخال والإخراج والزيادة والنقصان في الوقف[٨].

ونلاحظ مما سبق، أن كثيرًا من الواقفين جعل النظر لنفسه ثم لذريته، وذلك لرغبته في المحافظة على وقفه، وأن يضع مصارفه تحت أعينه، وضمان صرفها لمستحقيها، فضلاً عن الإفادة من المخصصات المالية لهذه الوظيفة، والتي كانت مقدرة في بعض الأحيان بالدراهم الفضية شهريًا وسنويًا، وفي أحيان أخرى قدرت قيمتها بنسبة محددة من إجمالي ريع الوقف، في حين ترك البعض منهم أمر تولية وظيفة النظر لأحد الأشخاص من خارج أسرة الواقف.

---

(١) دفتر تحرير الطابو رقم ٣٩٣، ص٨٢؛ دفتر٦٥٦، ص ١٢٧.

(٢) التربة المُزَلّقية: كانت تقع في سوق الغنم بمحلّة مسجد الذّبّان، بطريق مقابر الباب الصغير.(النعيمي: الدارس، ج٢، ص٢٩٠؛ الشهابي: معجم دمشق، ج١، ص٩٢).

(٣) دفتر تحرير الطابو رقم ٦٠٢، ص ١٨٧.

(٤) المدرسة الدُلاميَّة: وتُعرف بدار القرآن الدُلاميّة، أنشأها الخَوَاجَا شهاب الدين أحمد بن دُلامة في محلّة الجسر الأبيض بالصالحية، وانتهى من بنائها في سنة ٨٤٧هـ/١٤٤٣-١٤٤٤م، ولا يزال بناؤها قائمًا حتى اليوم(النعيمي: الدارس، ج١، ص٩؛ ابن طولون: القلائد الجوهرية، ق١، ص ١٢٤؛ الشهابي: معجم دمشق، ج١، ص٢٨٤).

(٥) النعيمي: الدارس، ج١، ص١٠؛ ابن طولون: القلائد الجوهرية، ق١، ص ١٢٥.

(٦) دفتر تحرير الطابو رقم ٣٩٣، ص١٢١؛ رقم ٦٠٢، ص ٣٢٠.

(٧) المدرسة الصابونية: وتُعرف بدار القرآن الصابونية، بناها الخَوَاجا شهاب الدين أحمد المعروف بالصابوني، بالصابوني، في خارج باب الجابية، مقابل الباب الغربي لمقابر الباب الصغير، وبها جامع بخطبة، وتربة الواقف وأخيه وذريتهما، انتهى من عمارتها في سنة ٨٦٨هـ/١٤٦٣ -١٤٦٤م، ولا يزال بناؤها قائمًا.(النعيمي: الدارس، ج١، ص١٣-١٤؛ العلبي: خطط دمشق، ص٦٨؛ الشهابي: معجم دمشق، ج١، ص٢٨٤).

(٨) دفتر تحرير الطابو رقم ٦٠٢، ص١٦٥؛ دفتر ٦٥٦، ص ٥٣؛ النعيمي: الدارس، ص ١٤.

وكان شادّ الوقف من الوظائف الإدارية التي حرص بعض الواقفين على وجودها لإدارة شئون الوقف، وكانت مهمته «أن يباشر أمره، ويسعى في مصالحه، وتحصيل أجوره، واستخلاصها ممن هي في جهته، ويشد على أيدي المباشرين»[١]. وتوجد وقفيتان وردت بهما إشارة عن وظيفة الشادّ، الأولى في وقفية المدرسة الصابونية، حيث شرط الواقف أن يصرف عشرة دراهم للشادّ في كل شهر[٢]. والوقفية الثانية هي وقفية ابنه علاء الدين بن علي بن الصابوني، والتي قسّم فيها ريع مزرعة عين صوفي ومزارعها المختلفة إلى عشرة أعشار، قسم العشر الأول منه إلى ثلاثة أثلاث، خص الثلث الثالث للشادّ والجابي، وجعل ما تبقى من ريع الوقف على نفسه وقسمه-أيضًا-على عشرة أعشار، جعل الثلث الثالث من العشر الأول أجرة للشادّ[٣].

أما وظيفة الجابي، فكانت مهمته استخراج ريع الوقف وأجوره ممن هي عليه وعنده، وفي جهته، وأن يجتهد في ذلك، ويدفع ما قام بتحصيله إلى ناظر الوقف[٤]، وكان يُشترط فيه «أن يكون دينًا أمينًا، من أهل الدين والخير يحصل ريع الوقف ويصرفه بأمر الناظر فيما ذكر»[٥]. وكانت تصرف له أجرة شهرية بلغت ستين درهمًا، كما في وقفيتي المدرسة الإسعردية، والمدرسة الصابونية[٦]، في حين صرف للجابي في وقف الخَوَاجَا شمس الدين بن الصباغ سبعمائة وعشرون درهمًا سنويًا[٧].

نخلص مما سبق أن إدارة أوقاف التجار لم تشذ عن بقية الأوقاف الأخرى، حيث اشتملت على مجموعة من الوظائف الإدارية، والتي كانت مهمتها المحافظة على الوقف والقيام بكافة أموره، وكانت تقع بشكل كبير على عاتق الناظر، يساعده في ذلك الشادّ والجابي، كما حرص كثير من الواقفين على إدارة أوقافهم بأنفسهم من خلال تولي وظيفة النظر ومن بعدهم لأولادهم.

---

(١) المنهاجي(شمس الدين محمد بن أحمد بن علي الأسيوطي القاهري الشافعي، ت ٨٨٠هـ/١٤٧٥م): جواهر العقود ومُعِين القضاة والموقعين والشهود، مطبعة السنة المحمدية، ١٩٥٥م، ج١، ص٣٣٧.

(٢) دفتر تحرير الطابو رقم ٦٠٢، ص١٦٤-١٦٥؛ رقم ٦٥٦، ص٥٣-٥٤.

(٣) دفتر تحرير الطابو رقم ٣٩٣، ص ٨٥؛ دفتر ٦٠٢، ص ١٦٦.

(٤) المنهاجي: جواهر العقود، ج١، ص٣٣٧.

(٥) وقفية المدرسة الإسعردية ، من نشر: جعفر الحسني: المدرسة الإسعردية، ص٥٩٦.

(٦) دفتر تحرير الطابو رقم ٣٩٣، ص١٢؛ رقم ٦٠٢، ص ٩٩، ١٦٥؛ دفتر ٦٥٦، ص٥٣، ١٥٩؛ جعفر الحسني: المدرسة الإسعردية، ص٥٩٦.

(٧) دفتر تحرير الطابو رقم ٣٩٣، ص١٢١؛ دفتر ٦٠٢، ص ٣٢٠.

رابعًا: أثر أوقاف التجار في الحياتين الدينية والعلمية:

حرص كثير من التجار في دمشق على تخصيص جزء من ثرواتهم لإنشاء عديد من المنشآت الدينية والتعليمية، وأوقفوا الأراضي والعقارات على مصالحها، طلبًا للأجر والثواب من الله عز وجَلّ، وحبهم لعمل الخير، لذا كانت أوقاف التجار المخصصة لأغراض دينية وتعليمية هي الأوسع، حيث تعددت أوجه الصرف عليها. والجدول التالي يرصد أسماء المنشآت الدينية والتعليمية التي أنشأها التجار، أو التي قاموا بتجديدها وتوسعتها.

	المنشئ	اسم المنشأة
	وجيه الدين محمد بن سويد التكريتي	**الرِباط التكريتي**[١]
	شجاع الدين قيس بن أبي السرور	**مسجد قيس**[٢]
	أبو بكر محفوظ بن معتوق البغدادي[٣]	**التربة البزورية**[٤]**– جامع البُزُوري ٦٩٠هـ؟**[٥]

(١) الرِباط التكريتي: في سفح قاسيون قرب جامع الأفرم، وقد دُرِس. (النعيمي: الدارس، ج٢، ص ١٩٣؛ أكرم حسن العلبي: خطط دمشق، دراسة تاريخية شاملة على مدى ألف عام، لدور القران والحديث والمدارس والبيمارستانات والجوامع الكبرى والخوانق والربط والزوايا والأسواق والخانات والحمامات والدروب، الطبعة الأولى، دار الطباع للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ١٩٨٩م، ص٤١٠).

(٢) مسجد قيس: كان يقع شرقي الصالحية، ولم يذكر ابن المَبْرَد أية معلومات عن منشئه، سوى أن عليه وقف كبير، كذلك لم يذكر ابن طولون شيئًا إضافيًا عن ذلك. وقد انفردت وقفية مسجد قيس بالصالحية، باسم الواقف وتاريخ الوقف وشروطه ومصارفه.(انظر: دفتر تحرير الطابو رقم ٦٠٢، ص ٥٩؛ دفتر ٦٥٦، ص٨٦؛ ابن المَبْرَد (جمال الدين يوسف بن عبد الهادي الدمشقي، ت ٩٠٩هـ/ ١٥٠٣م): ثمار المقاصد في ذكر المساجد، تحقيق محمد أسعد طلس، مجموعة النصوص الشرقية، الجزء الثالث، المعهد الافرنسي، بيروت، ١٩٤٣م، ص١٤٦، ١٤٩؛ ابن طولون: القلائد الجوهرية، ق١، ص ٣٥٣).

(٣) هو عز الدين أبو بكر محفوظ بن معتوق بن أبي بكر بن عمر البُزُوري البغدادي، توفي في شهر صفر سنة ٦٩٤هـ/ ديسمبر ١٢٩٤م، ودُفن بسفح قاسيون بالصالحية.(البرزالي: المقتفي، ج١ق٢، ص٣٨٢).

(٤) التربة البُزُورية: كانت بسفح جبل قاسيون فوق سوق القطن.(النعيمي: الدارس، ج٢، ص٢٢٧؛ ابن طولون: القلائد الجوهرية، ق١، ص ٣١٠).

(٥) جامع البُزُوري: يقع في قبر عاتكة، قرب مقبرة الدقاق من الغرب، يُظن أن بانيه محفوظ بن معتوق البُزُوري البغدادي، ولا يزال من الآثار القديمة فيه إلا الجزء الشمالي من السقف (محمد أسعد طلس: ذيل ثمار المقاصد في ذكر المساجد، المعهد الافرنسي بدمشق، بيروت، ١٩٤٣م، ص ١٩٧؛ العلبي: خطط دمشق، ص ٣١٢).

	سيف الدين أحمد بن السُّرَّمرّي	دار الحديث السامرّية[١] – رِباط– مسجد
	أبو البقاء توبة بن علي التَّكريتي	التربة التكريتية[٢]
	نور الدولة علي الشرابيشي[٣]	المدرسة الشرابشية[٤] – التربة الشرابشية[٥]
	شهاب الدين أحمد بن قطينّة الزُّرَعيُّ[٦]	التربة القطينية[٧]
	أمين الدين عثمان البُصّ[٨]	جدّد مسجد الذبان[٩]– أنشأ مأذنة وتربة(التربة البصيّة)[١٠]
	أمين الدين محمد بن أبي	التربة المحمدية الأمينية[١]

(١) دار الحديث السَّامرية: كانت تقع في زقاق السّلمي من محلة مأذنة الشحم، وكانت تعرف قبل ذلك بدار ابن قوام، وتعرف بالخانقاه السَّامرية، حيث أنشأها الخَوَاجَا أبو العباس أحمد بن محمد السامَرّي، وجعل= =بها خانقاه، وقد دُرِست.(النعيمي: الدارس، ج١، ص٧٢؛ العلبي: خطط دمشق، ص٨٠؛ الشهابي: معجم دمشق ج١، ص٢٧٠).

(٢) التربة التكريتية: لازالت في الصالحية بسفح قاسيون، قبالة دار الحديث الأشرفية البرانيّة.(النعيمي: الدارس، ج٢، ص٢٣٧-٢٣٨؛ ابن طولون: القلائد الجوهرية، ق١، ص٣١٣؛ الشهابي: معجم دمشق ج١، ص٦٧).

(٣) هو نور الدولة علي بن أبي المجد بن محاسن الشرابيشي، ولم أعثر على تاريخ وفاته فيما توفر لدي من مصادر.

(٤) المدرسة الشرابشية: بدرب الشعارين داخل باب الجابية، أوقفها نور الدولة علي الشرابيشي التاجر، وذلك في حدود سنة ٦٧٠هـ/١٢٧١-١٢٧٢م، وقد دُرِست.(النعيمي: الدارس، ج٢، ص٧-٨؛ العُلبي: خطط دمشق، ص٢٥٢).

(٥) التربة الشرابشية: كانت تقع أمام جامع جرّاح خارج الباب الصغير.(النعيمي: الدارس، ج٢، ص ٢٥٤). ٢٥٤).

(٦) هو شهاب الدين أحمد بن محمد بن قطينة الزُّرَعيّ التاجر المشهور، توفي في ربيع الآخر سنة ٧٢٣هـ/أبريل ١٣٢٣م.(ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٨، ص٢٣٠).

(٧) التربة القطينيّة: كانت بطريق القابون.(النعيمي: الدارس، ج٢، ص٢٧٢-٢٧٣).

(٨) هو أمين الدين عثمان بن أبي بكر بن محمد بن عمر المعروف بالبُصّ التاجر، وكان رجلا صالحًا، انفق انفق من أمواله في وجوه البر والخير، بنى خانًا للسبيل بالمزيرب بحوران، وعمّر مسجد الذّبّان خارج باب الجابية وأنشأ مأذنة وتربة دُفن بها، وبنى بجدران المسجد حوانيت أوقفها على المسجد.(ابن الجزري: حوادث الزمان، ج٢، ص ٥٠٨ رقم ٥٩٥).

(٩) مسجد الذّبّان: كان يقع في غرب مقبرة الباب الصغير، يُعرف موضعه بمخفر الشيخ حسن.(الشهابي: معجم دمشق، ج١، ص٢٥٤).

(١٠) التربة البُصّية: كانت خارج باب الجابية، جوار مسجد الذّبان.(النعيمي: الدارس، ج٢، ص٢٣٢-٢٣٣).

	العيش[١]	
٠	نجم الدين عبد الرحيم الرحبي[٣]	التربة الرحبية[٤]
١	علاء الدين علي السّنْجاري	دار القرآن السنجارية[٥] (المدرسة السنجارية)
٢	شمس الدين محمد بن الصّبّاب	دار القرآن والحديث الصبابيَّة[٦]
٣	شمس الدين أفريدون العجمي[٧]	دار القرآن الأفريدونية(المدرسة الأفريدونية)[٨]
٤	الخَوَاجَا عز الدين حسين السَّلامي[١]	المدرسة السّلامية(دار القرآن السّلاميَّة)[٢]

(٢) التربة المحمدية الأمينية: كانت شمال الجامع المظفري بسفح قاسيون.(النعيمي: الدارس، ج٢، ص٢٩٨).

(١) هو أمين الدين محمد بن أحمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن محمد بن يوسف بن أبي العيش الأنصاري، من أكابر التجار بدمشق، توفي في المحرم سنة٧٣٤هـ/سبتمبر ١٣٣٣م.(ابن الجزري: تاريخ حوادث الزمان، ج٣، ص٦٨٦-٦٨٧؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٨، ص٣٦٦-٣٦٧).

(٣) هو نجم الدين عبد الرحيم بن أبي القاسم بن عبد الرحيم الرّحَبّي، من التجار المشهورين، توفي بتربته بالمِزّة في جُمادى الآخرة سنة ٧٣٥هـ/ فبراير ١٣٣٥م.(ابن الجزري: تاريخ حوادث الزمان، ج٣، ص٨٠٥؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٨، ص٣٧٨).

(٤) التربة الرحبيّة: كانت في قرية المِزّة، أنشأها نجم الدين عبد الرحيم الرّحبي وجعل فيها مسجدًا وأوقف عليها.(النعيمي: الدارس، ج٢، ص ٢٤٦؛ الشهابي: معجم دمشق، ج١، ص٧٢).

(٥) دار القرآن السنجارية: عند باب النّطافين(الناطفانيين)، شمالي الجامع الأموي.(النعيمي: الدارس، ج١، ص١٢-١٣).

(٦) دار القرآن والحديث الصبّابية: كانت تقع جنوبي المدرسة العادلية، بناها شمس الدين محمد بن الصبّاب في سنة ٧٣٨هـ/أبريل١٣٣٨م.(النعيمي: الدارس، ج١، ص١٢٨؛ العُلبي: خطط دمشق، ص٦٩-٧٠).

(٧) هو شمس الدين أفريدون العجمي التاجر، توفي في رجب سنة ٧٤٩هـ/سبتمبر ١٣٤٨م.(ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٨، ص٥٠٦؛ ابن قاضي شهبة: تاريخ ابن قاضي شهبة، ج١، ص٥٧٣-٥٧٤).

(٨) دار القرآن الأفريدونية: خارج باب الجابية، أنشأها شمس الدين أفريدون التاجر السّفّار، حيث بنى تربة له وجعل بها دارًا للقرآن، ووقف عليها أوقافًا جيّدة.(النعيمي: الدارس، ج١، ص ٢٢٣).

٥	علاء الدين علي الأسعردي[٣]	جدد قيسارية يَلْبُغا[٤]-جدد قبة الشيخ خضر[٥]
٦	سليمان بن حسين العقري[٦]	توسعة التربة الخاتونية[٧] وتحويلها إلى جامع عُرف بالجامع الجديد لوحة(٦).
٧	الخَوَاجَا غياث الدين محمد الكُجُجاني	الخانقاه الكُجُجانية
٨	الخَوَاجَا شمس محمد بن التدمري[١]	جدّد جامع الثابتية[٢]- جدّد دار الحديث السكرية[٣] السكرية[٣]

(١) هو الخَوَاجَا عز الدين حسين بن داود بن عبد السيد بن علوان السّلاَّمي البغدادي الدمشقي، كان من التجار الكبار، وكان كثير الصدقات والبر والمعروف، توفي في رجب سنة ٧٥٢هـ/ سبتمبر ١٣٥١م.(ابن قاضي شهبة: تاريخ ابن قاضي شهبة، ج٢، ص٢٢).

(٢) المدرسة السّلامية: بحارة الخضراء بدمشق، كانت دار قرآن، وبها درسًا للحنابلة. (ابن قاضي شهبة: تاريخ ابن قاضي شهبة، ج٢، ص٢٢).

(٣) هو علاء الدين علي الأسعردي، التاجر المشهور، توفي في صفر سنة ٧٥٨هـ/فبراير ١٣٥٨م.(ابن قاضي شهبة: تاريخ ابن قاضي شهبة، ج٢، ص١٢٦).

(٤) قيسارية يَلْبُغا: كانت خارج باب الفرج، أنشأها الأمير سيف الدين يَلْبُغا اليحياوي نائب دمشقسنة ٧٤٧هـ/١٣٤٦م، وقد احترقت أكثر من مرة، وقد دُرِست.(الشهابي: معجم دمشق، ج٢، ص١٤١).

(٥) قبة الشيخ خضر: كانت فوق الربوة عند سفح قاسيون الغربية، تُنسب للشيخ خضر شيخ السُّلْطان الظاهر بيبرس.(الشهابي: معجم دمشق، ج٢، ص١٠٢).

(٦) لم أعثر على ترجمة له فيما توفر لدي من مصادر.

(٧) التربة الخاتونية: لا زالت في الصالحية، أوقفتها عصمة الدين خاتون بنت الأمير معين أنر، زوجة نور الدين محمود ثم صلاح الدين، ودُفنت فيها، وقام التاجر سليمان بن حسين العقري بتوسعتها إلى جامع، وصار يُعرف بالجامع الجديد، وذلك في سنة ٧٩٠هـ/١٣٨٨م.(النعيمي: الدارس، ج٢، ص ٢٤٤-٢٤٥؛ ابن طولون: القلائد الجوهرية، ق١، ص ١٠٩؛ الشهابي: معجم دمشق، ج١، ص٧٠، ١١٦).
ويوجد نقش إنشاء هذا الجامع أعلى عتب الباب بما نصّه: «**بسم الله الرحمن الرحيم أنشأ هذا الجامع المعمور بذكر الله تعالى مما أنعمه الله تعالى على عبده الفقير إلى الله تعالى سليمان(٢) ابن حسين= =العقري التاجر تقربا إلى ربه الكريم وذلك بتولي الفقير إلى الله تعالى علي بن التدمري في شهور سنة تسعين وسبعمية غفر الله لهما**». انظر:
Heinz Gaube: Arabische Inschriften aus Syrien, Beirut, 1978,p.110,N.197,tafel,XV,1.
وفرج حسين فرج حسين: «النقوش الكتابية المملوكية على العمائر في سوريا(٦٥٨-٩٢٢هـ/ ١٢٦٠-١٥١٦م) دراسة آثارية فنية مقارنة»، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب-جامعة سوهاج، ٢٠٠٨م، مج١، ص١١٤، مج٢، ص٥٤٧.

٩	الخَوَاجَا علاء الدين بن العنبري[٤]	جامع ابن العنبري(المدرسة العنبرية)[٥]
١٠	الخَوَاجَا برهان الدين إبراهيم الإسعردي	المدرسة الأسعردية
١١	الخَوَاجَا محمد بن علي الصالحي[٦]	التربة الخواجكية بالصالحية
١٢	الخَوَاجَا شمس الدين محمد بن المُزَلِّق	التربة المُزَلِّقية
١٣	الخَوَاجَا شهاب الدين أحمد بن دُلامة	دار القرآن الدُلاميّة(المدرسة الدُلاميّة)
	الخَوَاجَا شمس الدين محمد بن	الخانقاه النحاسية(المدرسة النحاسية)[١]

(١) هو الخواجا شمس الدين محمد بن التدمري السكري، كان من أعيان التجار وذوي الأموال والثروة، توفي في رمضان سنة ٧٨٨هـ/أكتوبر ١٣٨٦م، ودُفن بتربته في جامع الثابتية.(ابن قاضي شهبة، ج٣، ص٣١٠).

(٢) جامع الثابتية: ويُعرف بجامع الأنصاري، حيث كان في موضع جامع زيد بن ثابت كاتب الوحي لرسول الله ، ويُرجح بناء الجامع في سنة ٧١٠هـ/١٣١٠-١٣١١م.(العلبي: خطط دمشق، ص٣٢٩-٣٣٠؛ الشهابي: معجم دمشق، ج١، ص١١٥).

(٣) دار الحديث السكرية: كانت في محلة القصاعين داخل باب الجابية وبها خانقاه، كانت دارًا، وقفها زكي الدين أحمد بن طلائع على الأمير شرف الدين بن سُكَّر، ومن بعده أصبحت دار حديث ومسجدًا، ووقف عليها الأوقاف، وكان ذلك في سنة ٦٧٤هـ/١٢٧٥-١٢٧٦م.(النعيمي: الدارس، ج١، ص٧٤؛ العلبي: خطط دمشق، ص٨٠-٨١).

(٤) هو الخَوَاجا علاء الدين علي المعروف بابن العنبري الطرابلسي، توفي في ربيع الآخر سنة ٨٤٢هـ/أغسطس ١٤٣٨م.(السخاوي: الضوء اللامع، ج٦، ص ٥٦ رقم ١٦٣).

(٥) مدرسة ابن العنبري: كانت تقع بدرب الصالحية الآخذ إلى الجسر الأبيض غربي سوق ساروجا، ذكر ابن حِجِّي أنها مدرسة انتهى بناؤها في منتصف رجب سنة ٨١١هـ/ديسمبر ١٤٠٨م، في حين ذكر النُعيمي نقلاً عن ابن قاضي شُهبة بأنها مسجد يُعرف بجامع ابن العنبري. (ابن حِجِّي: تاريخ ابن حِجِّي، ج٢، ص٨٥٥؛ النعيمي: الدارس، ج٢، ص٤٤٠).

(٦) هو الخَوَاجَا محمد بن علي الصالحي الشهير بابن الصالحي، توفي في سنة ٨٢٦هـ/١٤٢٣م.(ابن طولون: القلائد، ق١، ص٤٦٠).

٤	النحاس	
٥	الخَوَاجَا شهاب الدين أحمد الصابوني	دار القرآن الصابونية(المدرسة الصابونية)
٦	الخَوَاجَا محمد بن يوسف القاري	مدرسة القاري[٢]
٧	الخَوَاجَا شمس الدين محمد بن القونسي	مسجد ورِباط ابن القونسي[٣]
٨	الخَوَاجَا تقي الدين أبو بكر محمد بن أبي بكر العيني الصالحي[٤]	- بناء إيوان بمحراب في الجامع الجديد- تربة بالجامع الجديد

ونلاحظ من الجدول السابق كثرة المنشآت التي شيّدها التجار في دمشق وتنوعها، حيث شملت دور القرآن الكريم، ودور الحديث النبوي، والمدارس، والمساجد والجوامع، ومنشآت التصوف كالخوانق والرُبط، بالإضافة إلى الترب، كما أن بناءها كان في العصرين المملوكي البحري والجركسي على حد سواء.

وقد تنافس التجار في دمشق وساروا على نهج سلاطين المماليك وأمراؤهم والقضاة والنساء وغيرهم من إنشاء المنشآت الدينية والتعليمية ووقف الأوقاف عليها وترتيب الوظائف بها، كل منشأة حسب وظيفتها. فقد حرصوا على إقامة الشعائر الدينية في المساجد والجوامع، أو في المدارس والخوانق التي تقام فيها الصلوات، ومن هذه الوظائف مجموعة رئيسية اهتموا باستمرارها حتى لو خرب الوقف، أو تعطلت الأعيان الموقوفة على مصالح الجامع أو المدرسة، وهذه الوظائف الإمامة والخطابة والأذان؛ وذلك لاستمرار أداء

---

(١) الخانقاه النحاسية: وتُعرف بالمدرسة النحاسية، وبمدرسة ابن النحاس، وبمسجد ابن النحاس، وبها تربة، وهي تقع لصيق مقبرة الفراديس من الجنوب، ولا تزال موجودة إلى اليوم.(النعيمي: الدارس، ج٢، ص١٧٣-١٧٤؛ العلبي: خطط دمشق، ص٤٠٧).

(٢) مدرسة القاري: تقع بين مأذنة الشحم والقيمرية، في المنطقة التي تُعرف اليوم بحمام القاري، أنشأها الخَواجَا محمد بن يوسف القاري في سنة ٨٨٧هـ/١٤٨٢م.(ابن طولون: حارات دمشق، ص٢١؛ العلببي: خطط دمشق ص٢٠٧).

(٣) مسجد الخَوَاجَا ابن القونسي: كان في الصالحية، جنوبي المدرسة الحاجبية. أمّا الرِباط فإنه تحت رباط خليفة ولعله قريب أو عند المسجد.(ابن المَبْرَد: ثمار المقاصد، ص١٤٦؛ ابن طولون: القلائد الجوهرية، ق١، ص٣٥٣، ٣٦٠؛ الشهابي: معجم دمشق، ج١، ص٣٢٥، ج٢، ص٢٤٩).

(٤) لم أعثر على ترجمة له فيما توفر لدي من مصادر.

الشعائر الدينية[١]. كذلك صرف الواقفون لأرباب الوظائف في هذه المنشآت مرتبات نقدية وعينية أسبوعية وشهرية وسنوية، التي تباينت من وقفية لأخرى، وفقًا لشروط الواقف ومقدار الأعيان الموقوفة وعوائدها المالية.

وفيما يتعلق بوظيفة الإمامة، فإنها تُعد من أهم الوظائف الدينية، التي وضع لها بعض الواقفين شروطًا في اختيار من يتولاها، فقد ورد في وقفية المدرسة الإسعردية بأن يُصرف للإمام مبلغ ستون درهمًا وأن يكون« رجلاً دينًا حافظًا لكتاب الله العزيز جيد القراءة، حسن الأداء والتلاوة، ملازمًا للصلوات الخمس في هذه المدرسة، غير منسوب إلى شر ولا بدعة، وعليه صلاة التراويح في شهر رمضان من كل سنة»[٢].

وفي بعض الأحيان كانت تُضاف إلى الإمام وظائف أخرى بناء على شروط الواقف، وهو ما نصت عليه وقفية المدرسة الدُلاميّة، حيث شَرط الخَوَاجَا ابن دُلامة أن يُصرف للإمام بمدرسته مائة درهم، وأن يتصدى لإقراء الفقراء المشتغلين بقراءة القرآن الكريم، وأن يحصل في مقابل ذلك على عشرين درهمًا إضافية، وأن يتولى قراءة البخاري، والقراءة على ضريح الواقف[٣]. وكان ما يتقاضاه الإمام في التربة المُزَلِّقية ستين درهمًا[٤]، في حين تقاضى إمام المدرسة النحاسية مائة وعشرين درهمًا[٥].

واشترط الخَوَاجَا ابن الصابوني أن يُصرف مائة وخمسون درهمًا للإمام في مدرسته يكون من الطائفة الجبرتية[٦]، وفي حالة عدم وجود إمام من الجبرتية فيمانيًا، فإن لم يوجد يوجد فحجازيًا، وأن يكون حنفيًا، وأن يكون معه عشرة فقراء من طائفته يقرئهم القرآن، كما خصصت قاعه لسكنه مع أسرته[٧]. وهناك من الواقفين من خصص جزء من ريع وقفه على على إمام بمسجد الواقف أو مدرسته، فهناك أحد الواقفين من خصص من ريع وقفه على إمام بإحدى المساجد الأخرى لتدعيمها، وهو ما أشارت إليه وقفية الخَوَاجَا عيسى القاري،

---

(١) محمد أمين: الوقاف والحياة الاجتماعية، ص١٨٤.

(٢) دفتر تحرير الطابو رقم ٣٩٣، ص١٢؛ رقم ٦٠٢، ص٩٨؛ رقم ٦٥٦، ص١٥٩؛ جعفر الحسني: المدرسة الإسعردية، ص٥٩٠.

(٣) النعيمي: الدارس، ج١، ص٩-١٠؛ ابن طولون: القلائد، ق١، ص ١٢٥.

(٤) دفتر تحرير الطابو رقم ٦٠٢، ص ١٨٧.

(٥) دفتر تحرير الطابو رقم ٦٠٢، ص١٦١.

(٦) الجبرتية: طائفة صوفية نسبة إلى بلاد جبرت، وهي بلاد الزيلع.(عبد القادر بدران: منادمة الأطلال ومسامرة الخيال، المكتب الإسلامي، دمشق، (د.ت)، ص٢٠).

(٧) دفتر تحرير الطابو رقم ٦٠٢، ص١٦١؛ النعيمي: الدارس، ج١ ، ص١٤-١٥.

بأن يُصرف لإمام المسجد العمري ثلاثون درهمًا، بالإضافة لما يتحصل من أجرة الطبقة الملاصقة لبيت الواقف[١].

أما وظيفة الخطابة، فلم نعثر سوى على وقفية واحدة تفيد بترتيب أحد الخطباء بالمدرسة الصابونية، واشترط الواقف أن يكون شافعي المذهب، وعليه أن يقرأ في المصحف الشريف بعد الجمعة على الكرسي في الجامع بالمدرسة، ورتب له أربعين درهمًا كل شهر[٢].

وفيما يتعلق بوظيفة الأذان، فقد خصص بعض الواقفين جزءًا من مصارف الوقف على المؤذنين، وكان من شروط اختيار المؤذن ومهام عمله، كما جاء في وقفية المدرسة الإسعردية، أن يكون حسن الصوت، ملازمًا للأذان في الأوقات الخمس على باب المدرسة، أو إمامة الصلوات الخمس والتكبير في الصلوات وفي التراويح، ويختم كل صلاة بالذكر والصلاة على النبي ﷺ والدعاء للواقف ولوالديه ولجميع المسلمين، وجعل له الواقف خمسة وأربعين درهمًا[٣]. وقرر الخَوَاجَا شمس الدين محمد بن الزَّمِن أن يصرف ثلاثون درهمًا في كل شهر لرجلين مؤذنين في منارة الجامع الجديد بالصالحية[٤]. وشرط الخَوَاجَا نور الدين بن أحمد بن الصابوني، في وقفيته أن يُصرف من عائد الوقف لمؤذن بالمسجد النبوي خمسة دنانير أشرفية في كل سنة[٥]. وذكرت وقفية المدرسة الصابونية وجود ستة مؤذنين في منارتها تُصرف لهم مائتا وأربعون درهمًا كل شهر[٦]. وشرط الخَوَاجَا عيسى القاري في وقفيته المؤرخة في سنة ٨٩٢هـ/١٤٨٦-١٤٨٧م، أنه بعد انقراض الذرية يكون ثلث العائد من وقفه على المؤذنين بالجامع الأموي[٧].

وفي بعض الأحيان كانت وظيفة المؤذن تضم إلى وظيفة أخرى مثل وظيفة البواب، كما نصّت وقفية الخانقاه الكُجُانية[٨]، أو تضم إلى وظيفتي القيّم[١] والبواب، وتصبح

---

(١) دفتر تحرير الطابو رقم ٦٠٢، ص ٣.

(٢) دفتر تحرير الطابو رقم ٦٠٢، ص١٦١؛ النعيمي: الدارس، ج١ ، ص١٤.

(٣) دفتر تحرير الطابو رقم ٣٩٣، ص١٠؛ رقم ٦٠٢، ص ٩٨-٩٩؛ دفتر ٦٥٦، ص ١٥٩؛ جعفر الحسني: الحسني: المدرسة الإسعردية، مج٣٣، ج٤، ص٥٩٠-٥٩٢.

(٤) تاريخ تسجيلها في سنة ٨٨٦هـ. انظر: دفتر تحرير الطابو رقم ٦٠٢، ص١٢٦.

(٥) دفتر تحرير الطابو رقم ٣٩٣، ص١٦٨؛ رقم ٦٠٢، ص ٢٧٧.

(٦) دفتر تحرير الطابو رقم ٦٠٢، ص١٦٥؛ رقم ٦٥٦، ص٥٣-٥٤. النعيمي: الدارس، ج١، ص١٥.

(٧) دفتر تحرير الطابو رقم ٦٠٢، ص٥؛ دفتر ٦٥٦، ص١١٢.

(٨) تاريخ تسجيل الوقفية في سنة ٨٥٧هـ دفتر تحرير الطابو رقم ٣٩٣، ص٩٨؛ رقم ٦٠٢، ص ١٧٣.

الوظائف الثلاثة يتولاها شخص واحد، على نحو ما ورد في وقفيتي المدرسة الدُلامية والنحاسية(٢).

وقد حظيت قراءة القرآن الكريم، بنصيب وافر ومكانة كبيرة في أوقاف التجار، فكانت توضع بعض الشروط لاختيار هؤلاء القراء، ومنها أن يكون القارئ حسن الصوت والأداء والتلاوة، جيد القراءة، ظاهر الخير والديانة(٣). وفي بعض الأحيان كانت تحدد أوقات القراءة وعدد السور التي تقرأ سواء في حياة الواقف أو بعد وفاته، فقد ذكرت وقفية الخَوَاجَا إبراهيم الإسعردي المؤرخة بأن على القراء «في أيام الواقف إلى حين وفاته القراءة بهذه المدرسة في كل يوم بكرة النهار وبعد صلاة العصر، وأن يقرأوا مجتمعين في كل وقت من الوقتين المذكورين حزبًا كاملاً من ستين حزبًا من القرآن العظيم، ويهدوا ثواب ذلك مع قراءة سورة الإخلاص والمعوذتين وفاتحة الكتاب وأوائل سورة البقرة إلى الواقف ولوالديه وأولاده ولجميع المسلمين، ويترحموا على الواقف ويدعوا له بالمغفرة ويسألوا الله إيصال ذلك إلى من ذكر، وأما بعد وفاة الواقف مدّ الله في عمره فيقرأوا متفرقين، الريس منهم يقرأ بعد صلاة الصبح في هذه التربة التي وقفها الواقف برسم دفنه التي هي في هذه المدرسة المذكورة، وآخر يقرأ بعد صلاة الظهر، والآخر بين المغرب والعشاء في كل يوم»(٤).

واشترط بعض الواقفين من التجار تحديد عدد القراء المستفيدين من ريع الوقف، والمبالغ المالية التي تُصرف لهم، فقد قرر شجاع الدين قيس التاجر في وقفيته على مسجده لرجلين يقرآن القرآن خمسة عشر درهمًا في كل شهر(٥). في حين خصص الخَوَاجَا برهان الدين الإسعردي بمدرسته ثلاثة قراء مقابل سبعين درهمًا، للريس ثلاثون درهمًا وللقارئين الآخرين أربعون درهمًا، هذا إلى جانب قارئ واحد يقرأ على الكرسي في المدرسة

---

(١) القيّم: جرت العادة أن يستخدم في بعض المؤسسات العامة كالمسجد والمدرسة والحمام والضريح «قيم» أو فراش يكون مسئولا عن الخدمة فيه ونظافته والمحافظة عليه.(حسن الباشا: الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٥م، ج٢، ص٨٩٨).

(٢) دفتر تحرير الطابو رقم ٣٩٣، ص١٨٣؛ رقم ٦٠٢، ص١٦١-١٦٢؛ رقم ٦٥٦، ص٧٣؛ النعيمي: الدارس، ج١، ص٩-١٠؛ ابن طولون: القلائد، ق١، ص ١٢٥.

(٣) وقفية الخَوَاجَا إبراهيم الإسعردي، من نشر: جعفر الحسني: المدرسة الإسعردية، ص٥٩١، ٥٩٤.

(٤) جعفر الحسني: المدرسة الإسعردية، ص ٥٩٤.

(٥) دفتر تحرير الطابو رقم ٣٩٣، ص٥٩؛ دفتر ٦٥٦، ص٨٦.

وله في كل شهر ثلاثون درهمًا[١]، وشرط الخَوَاجَا شمس الدين محمد بن النحاس أن يكون من بين مصارف الوقف مبلغ ستون درهمًا في كل شهر لأربعة من القراء[٢]، وكذلك الأمر بالنسبة لوقفية الخَوَاجَا شمس الدين محمد بن الصباغ المؤرخة في سنة ٨٦٦هـ/١٤٦١-١٤٦٢م، حيث خصص مائة وخمسين درهمًا تُصرف لأربعة قراء[٣]. أما الخَوَاجَا شمس الدين محمد بن عمر بن الزَّمِن فقد شَرط أن يصرف الناظر من محصول الوقف لخمسة يقرأون القرآن بعد صلاة المغرب بالجامع الأموي في كل شهر مائة درهم تفرق عليهم[٤].

وهناك من الواقفين من اشترط قراءة القرآن في مسجده أو مدرسته أو عند ضريحه في كل يوم[٥]، ومنهم من جعل القراءة في الحرم المكي[٦]، أو في أي مكان تيسر[٧]. وفي وفي بعض الأحيان كان يتم قراءة القرآن الكريم في مجموعة من القراء، يُطلق قراء السُبع الشريف[٨]، فقد ذكرت وقفية الخَوَاجَا شمس الدين محمد بن إبراهيم الصفيّ المؤرخة سنة ٨٩٣هـ أن يصرف لقراء السُبع في جامع السقيفة مقابل عشرة دراهم شهريًا[٩].

ونالت قراءة الحديث الشريف أهمية كبيرة لدى الواقفين، فخصصوا لها جزءًا من عائدات الوقف، وقد انحصرت في قراءة الحديث النبوي بصفة عامة أو تحديد قراءته من صحيح البخاري وصحيح مسلم. فقد شَرط الخَوَاجَا إبراهيم الإسعردي أن يُصرف من ريع الدار التي وقفها في الصالحية لقارئ الحديث النبوي في كل يوم جمعة بعد الصلاة من كل أسبوع، وفي كل يوم اثنين بعد صلاة الظهر في المدرسة الإسعردية، ثم يختم ذلك بقراءة القرآن الكريم ويهدي ثواب ذلك إلى الواقف ووالده ولجميع المسلمين، كما رتب قارئًا لصحيح

---

(١) دفتر تحرير الطابو رقم ٣٩٣، ص١٢؛ رقم ٦٠٢، ص ٩٨-٩٩؛ دفتر ٦٥٦، ص ١٥٩؛ وقفية الخَوَاجَا إبراهيم الإسعردي، من نشر: جعفر الحسني: المدرسة الإسعردية، ص٥٩١، ٥٩٤.

(٢) دفتر تحرير الطابو رقم ٦٠٢، ص١٦١.

(٣) دفتر تحرير الطابو رقم ٣٩٣، ص١٢١؛ رقم ٦٠٢، ص ٣١٩-٣٢٠.

(٤) دفتر تحرير الطابو رقم ٦٠٢، ص ٨٩.

(٥) وقفية الخَوَاجَا علاء الدين بن الصابوني في المؤرخة في المؤرخة في سنة ٨٦٩هـ دفتر تحرير الطابو رقم ٣٩٣، ص١٦٨؛ دفتر تحرير الطابو رقم ٦٠٢، ص٢٧٧.

(٦) وقفية الخَوَاجَا زين الدين عبد القادر بن شمس الدين محمد بن عيسى القاري. دفتر تحرير الطابو رقم ٦٠٢، ص ٢٠٥-٢٠٦.

(٧) وقفية الخَوَاجَا زين الدين عبد القادر بن شمس الدين محمد بن عيسى القاري ٩٢٢هـ، دفتر تحرير الطابو الطابو رقم ٦٠٢، ص ٢٠٥-٢٠٦.

(٨) للمزيد عن قراء السُبع الشريف انظر: محمد أمين: الأوقاف والحياة الاجتماعية، ص٢٠٠-٢٠١.

(٩) دفتر تحرير الطابو رقم ٣٩٣، ص ١٦؛ دفتر ٦٠٢، ص ٤٣.

البخاري في مدرسته كل سنة في شهري شعبان ورمضان، تكون القراءة في كل يوم من أيام الشهرين المذكورين، بحيث يكون ختم القراء في الأيام المفردة من العشر الأواخر من شهر رمضان(١).

كذلك عيّن الخَوَاجَا شهاب الدين أحمد بن دُلامة قارئًا للحديث في مدرسته في الشهور الثلاثة بمرتب مائة وعشرون درهمًا(٢). ونصت وقفية الخَوَاجَا شمس الدين محمد بن الصباغ المؤرخة في سنة ٨٦٦هـ، على صرف مائتي درهم سنويًا لقارئ الحديث(٣). وكان من شروط وقف المدرسة الصابونية أن يصرف من ريع الوقف مبلغ مائة وخمسون درهمًا لقاري صحيح البخاري في ثلاثة أشهر(رجب وشعبان ورمضان)(٤). ورتّب الخَوَاجَا شمس الدين محمد بن القونسي قارئ حديث دون أن تُشير الوقفية إلى المكان الذي يقرأ فيه(٥)، كما نصت وقفية الخَوَاجَا شمس الدين محمد بن إبراهيم الصفيّ المؤرخة سنة ٨٩٣هـ/١٤٨٨م، على أن يصرف في كل سنة ثلاثمائة درهم لقارئ يقرأ صحيح البخاري ومسلم في مسجد القصب(٦).

ومن الوظائف الأخرى التي حرص بعض الواقفين على وجودها في مؤسساتهم الدينية والتعليمية، وظيفة قارئ الميعاد، وهو درس ديني، حيث اشتهر في العصر المملوكي تسمية درس الحديث أو الوعظ بالميعاد، حيث كان يُعقد في الأسبوع مرة أو مرتين، فقد نصت وقفية المدرسة الإسعردية أن يُعين رجلا مسلمًا يكون عارفًا بقراءة الحديث النبوي وأهلا لعمل ميعاد على الكرسي بالمدرسة، وشرط عليه الحضور في كل يوم سبت من كل أسبوع، وأن يعمل ميعادًا مشتملا على تفسير القرآن الكريم والحديث النبوي، وأن يختم الميعاد

---

(١) جعفر الحسني: المدرسة الإسعردية، ص٥٨٩-٥٩٠، ٥٩٦.

(٢) النعيمي: الدارس، ج١، ص١٠؛ ابن طولون: القلائد، ق١، ص ١٢٥.

(٣) دفتر تحرير الطابو رقم ٣٩٣، ص١٢١؛ رقم ٦٠٢، ص ٣١٩-٣٢٠.

(٤) دفتر تحرير الطابو رقم ٦٠٢، ص١٦٤-١٦٥؛ رقم ٦٥٦، ص٥٣-٥٤؛ النعيمي: الدارس، ج١، ص١٤.

(٥) دفتر تحرير الطابو رقم ٦٠٢، ص ٢٥٦.

(٦) دفتر تحرير الطابو رقم ٣٩٣، ص ١٦؛ دفتر ٦٠٢، ص ٤٣.

ببعض آيات وسور من القرآن[١]، في حين قرر الخَوَاجا ابن دُلامة بمدرسته قارئًا للميعاد في يوم الثلاثاء من كل أسبوع بمبلغ ثلاثون درهمًا[٢].

وكانت منشآت التصوف من المؤسسات الدينية الأخرى التي نالت حظًا من أوقاف التجار في دمشق، فمن المعروف أن عصر سلاطين المماليك شهد انتشارًا كبيرًا للتصوف واتساع نطاقه، وشايع سلاطين المماليك وأمراؤهم حركة التصوف، فانتشرت الكثير من منشآت التصوف، والتي أطلق عليها خوانق، وربط، وزوايا، وأوقفوها كما أوقفوا على من يُقيم بها من الصوفية[٣]. وقد وجد بعض المتصوفة بالخانقاوات نوعًا من الحياة الرغدة بالنسبة لحياة فئات الشعب الأخرى، حيث كانت تُصرف لهم المرتبات الشهرية، بالإضافة إلى الخبز اليومي واللحم والأطعمة الأخرى[٤].

فقد شيّد الخَوَاجَا غياث الدين محمد بن إبراهيم الكُجُجاني الشهير بخواجا شيخ، الخانقاه الكُجُجانية في سنة ٧٦١هـ/١٣٦٠م، وأوقف عليها، ونص في وقفيته على شروط منها: أن يكون شيخ الخانقاه والصوفية شافعية المذهب، وأن يُصرف إلى كل فقير من الصوفية في كل يوم أوقية لحم وزبدية طعام، ونصف رطل خبز، وفي كل شهر نصف رطل زيت ونصف رطل صابون ونصف رطل حلاوة عجمية، وخمسة عشر درهمًا، ويكون لشيخ الخانقاه قدر نصيب اثنين، وشرط الواقف أن يكون أحد الصوفية إمامًا بالخانقاه ويأخذ في مقابل ذلك عشرة دراهم شهريًا، وآخر قيّمًا، وأحدهم بوابًا ومؤذنًا[٥].

وأنشأ الخَوَاجَا شمس الدين محمد بن النحاس الخانقاه النُحاسية، التي تُعرف – أيضًا– بالمدرسة النُحاسية[٦]، حيث نصت وقفية الخانْقاه على أنها مدرسة، وفي ذلك الأمر

---

(١) اختار الخَوَاجا ابن الإسعردي لهذه الوظيفة صدر الدين أبو بكر بن إبراهيم بن مُفلح، واشترط انه في حالة تولي غيره هذه الوظيفة يكون الحضور يومي السبت والثلاثاء . انظر: جعفر الحسني: المدرسة الإسعردية، ص٥٩٥.

(٢) ابن طولون: القلائد الجوهرية، ق١، ص١٢٥ وحاشية ١.

(٣) سعيد عبد الفتاح عاشور: المجتمع المصري، ص ١٧٩؛ محمد أمين: الأوقاف والحياة الاجتماعية، ص٢٠٦.

(٤) محمد عبد الستار عثمان: نظرية الوظيفية بالعمائر الدينية المملوكية، ص١٧٧-١٧٨.

(٥) تاريخ تسجيل الوقفية في الدفتر سنة ٨٥٧هـ.انظر: دفتر تحرير الطابو رقم دفتر ٦٠٢، ص ١٧٣.

(٦) النعيمي: الدارس، ج٢، ص١٧٣-١٧٤؛ ابن طولون: مُفاكهة الخِلان، ق١، ص ٦٩؛ الشهابي: معجم دمشق، ج١، ص٢٥٤.

الأمر أشار أحد الباحثين[١] إلى أن المعمار المسلم كان على إدراك بالحياة السائدة التي كانت داخل الخوانق ونواحيها المختلفة، وتوخاها عند تخطيطه للخانقاه كمنشأة يسكنها المتصوفة وحدهم، ثم وائم بين ذلك وبين ما طرأ عليها من تطور في وظيفتها بعدما أصبحت تؤدي وظيفة المدرسة أو المسجد الجامع أيضًا. وقد رتب الخَوَاجا ابن النحاس بها شيخًا وإمامًا في مقابل مائة وعشرون درهمًا، وصرف ثلاثمائة درهم لعشرة من الفقراء الراغبين في التعلم والتلقين من القرآن الكريم، ولرجل يعمل بوابًا ومؤذنًا وقيمًا في كل شهر ستون درهمًا، وأن يُصرف لأربعة قراء يقرأون القرآن في كل شهر ستون درهمًا، وأن يُشترى في كل شهر رطلين زيت لإضاءة المدرسة(الخانقاه)[٢]. أما الخَوَاجَا علاء الدين بن الصابوني فعيّن من مُتحصل وقفه على عشرة من الصوفية وشيخ لهم، يحضرون بتربة الواقف بمدرسته بالقاهرة، كان للشيخ نصيبان، وللصوفية عشرة من القيمة المخصصة لهم[٣].

ومن منشآت التصوف الأخرى التي أوقف عليها التجار في دمشق الرُّبُط، وكان من أشهرها الرِباط التكريتي، الذي أنشأه وجيه الدين محمد بن علي بن أبي طالب بن سويد التكريتي، وقد وقف معه تربة ومسجدًا في الصالحية[٤]. وهناك من الواقفين من أوقف جزء من عائد الوقف على الأربطة في المدينة المنورة، كوقفية الخَوَاجَا شرف الدين عيسى القاري المؤرخة في سنة ٨٨٣هـ/١٤٧٨-١٤٧٩م، فقد نصت أنه في حالة إذا تعطلت عين الماء في طريق الحج الشامي يفرق المبلغ المخصص لها في توزيع الماء بالطريق، وما تبقى يفرق على الفقراء بالأربطة في المدينة المنورة [٥].

وصرف الخَوَاجَا شمس الدين محمد بن الصباغ في وقفيته المؤرخة سنة ٨٦٦هـ/١٤٦١-١٤٦٢م، جزءًا كبيرًا من ريع وقفه لبعض أربطة المدينة المنورة في كل سنة، حيث خصص أربعمائة درهم للفقراء المجاورين برِباط السَّبيل، ومائة درهم للفقراء في رِباط مُراغة، ومائة وخمسون درهمًا لرِباط السُّلامي، ومثلها لرِباط البغداديّ، ومائة درهم

---

(١) تاريخ تسجيل الوقفية في الدفتر سنة ٨٥٧هـ. انظر: دفتر تحرير الطابو رقم دفتر ٦٠٢، ص ١٧٣.

(٢) دفتر تحرير الطابو رقم دفتر ٦٠٢، ص ١٦١-١٦٢.

(٣) دفتر تحرير الطابو رقم ٣٩٣، ص٨٥؛ دفتر ٦٠٢، ص ١٦٦

(٤) دفتر تحرير الطابو رقم ٣٩٣، ص١٥٧؛ دفتر ٦٥٦، ص ٧٧؛ اليونيني: ذيل مرآة الزمان، ج٢، ص٤٨٧-٤٨٩؛ البرزالي: المقتفي، ج١ق١، ص٢٥٨؛ الكتبي: عيون التواريخ، ج١، ص٥١٣-٥١٤ رقم ٢٢٦؛ النعيمي: الدارس، ج٢، ص ١٩٣؛ ابن طولون: القلائد الجوهرية، ق١، ص ٣١٣).

(٥) دفتر تحرير الطابو رقم ٦٠٢، ص ٣.

لمجموعة من الأربطة هي: رِباط قاره، والظَّاهر، والهنود، وخلف، وابن عبنوت، والنخلة، والرُّومي، كما خصص لناظر رِباط دُكالة مائة درهم[١]. في حين عيّن الخَوَاجَا شمس الدين محمد بن إبراهيم الصفيّ في وقفيته المؤرخة سنة ٨٩٣هـ/١٤٨٧-١٤٨٨م، مبلغ خمسمائة درهم للفقراء المجاورين بأربطة المدينة المنورة [٢] .

ونظرًا لثراء هؤلاء التجار فقد كان طبيعيًا أن يتخذوا المرافق الخاصة التي عبارة عن قباب دفن يلحق بها منشآت دينية وتعليمية والمبالغة في تشييدها ومحاكاة السلاطين والأمراء في ذلك، وهذ الأضرحة تضم رفاتهم وتخلد ذكراهم بعد وفاتهم، وهي فكرة أساسية تبعها إلحاق مسجد أو مدرسة أو خانقاه، بمعنى أن الضريح كان النواة الأساسية لإنشاء كثير من المنشآت الدينية، ويؤكد ذلك أن معظم منشآت المماليك الدينية اشتملت على ضريح للمنشئ، وقد وافق إلحاق الضريح بالمنشآت الدينية الشرع الشريف[٣]. وقد رصد التجار لهذه الترب كثير من الأراضي والعقارات المتنوعة وأوقفوها عليها، ومن هذه الترب، التربة البُزُورية بالصالحية، التي أنشأها عز الدين محفوظ البزوري أحد أعيان التجار، ووقف عليها كتب كثيرة[٤].

كذلك وقف أمين الدين عثمان البُصّ التاجر تربته جوار مسجد الذّبان المعروفة بالتربة البُصّيّة، وأشار النُعيمي نقلاً عن البرزالي بأنه «أنفق جملة من ماله في سبيل الخير، بلغني أنه حسب ما أنفقه فبلغ مائتي ألف وخمسين ألفًا، ....، وعمّر مسجد الذّبان والمئذنة والتربة وغير ذلك، ووقف عليها الأوقاف وقرر الوظائف»[٥]، كما ذكر النعيمي أنه رأى تجاه مسجد الذّبان نقش تجديد المسجد والمئذنة والتربة جاء فيه «بسم الله الرحمن الرحيم جدد عمارة المسجد المبارك والمئذنة والتربة العبد الفقير إلى الله تعالى الحاج عثمان بن أبي بكر بن محمد التاجر السَّفَّار غفر الله له، ووقف على مصالح المسجد والمئذنة

---

(١) دفتر تحرير الطابو رقم ٣٩٣، ص١٢١؛ رقم ٦٠٢، ص ٣١٩-٣٢٠. وللمزيد عن هذه الأربطة انظر: السخاوي: التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، ، تحقيق ودراسة أنيس طاهر وبدر بن محمد العماش ومصطفى عمار منلا، مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ٢٠٠٨م، مج١، ص ١١١-١١٣.

(٢) دفتر تحرير الطابو رقم ٣٩٣، ص ١٦؛ دفتر ٦٠٢، ص ٤٣.

(٣) محمد عبد الستار عثمان: نظرية الوظيفية، ص ١٠٦-١٠٧.

(٤) البرزالي: المقتفي، ج١ق٢، ص٣٨٢؛ النعيمي: الدارس، ج٢، ص٢٢٧؛ ابن طولون: القلائد، ق١، ص ٣١٠.

(٥) النعيمي: الدارس، ج٢، ص٢٣٢-٢٣٣.

والتربة وعمارته وفرشه وتنويره، وعلى الإمام والمؤذن والقيم به جميع المعصرة وعلوها المسجد والطبقتين غربيه والطبقة من شرق المئذنة، والطبقة شرق المسجد، والطباق التي من شام المئذنة، وشرقي الأرض التي قبلي المعصرة، ودكاكين التي غربي المعصرة، يصرف على ما نطق به كتاب وقف ذلك الثابت، المحكوم به، وكان الفراغ منه في شهور سنة ثلاث وعشرين وسبعماية، فمن غير ذلك أو بدله عليه ما يستحقه»(١).

و قام نجم الدين عبد الرحيم الرحبي ببناء تربته المعروفة به بالمِزّة، وألحق بها مسجدًا وأوقف عليها أوقافًا ذات عوائد كبيرة، وأوصى بثلث تركته التي تقدر بخمسين ألف درهم لشراء عقار ووقفه صدقة(٢). وأنشأ الخَوَاجَا شمس الدين محمد بن المُزَلِّق كبير التجار بدمشق، تربته المشهورة بالتربة المُزَلِّقية بقرب الباب الصغير، وقد أوقف عليها عددًا كبيرًا من الأراضي والعقارات، ورتب فيها عدد من الوظائف(٣).

ومن وجوه البر الأخرى التي أولاها كبار التجار عنايتهم وأنفقوا عليها أموالا كثيرة هي إصلاح طريق الحج الشامي وتمهيده، وتزويده بالمرافق اللازمة من آبار واستراحات، لكي يستطيع الحجاج تأدية فريضة الحج بسهولة ويسر؛ وذلك لبُعد المسافة وطول الفترة الزمنية التي تستغرقها قوافل الحجاج للوصول إلى الأراضي المقدسة. كما تجدر الإشارة إلى توجه عدد من التجار إلى الحجاز في كل عام لأداء فريضة الحج في كل عام، وكان البعض منهم يستغلون وجودهم في مكة لمتابعة قوافلهم التجارية المحملة بالبهار(التوابل)، وغيرها من السلع القادمة من اليمن والهند عبر البحر الأحمر، وعقد صفقات تجارية عقب انتهاء موسم الحج(٤). وهو ما يفسر ارتباط تجارة البهار وغيرها بموسم الحج، الأمر الذي يشير إلى استفادة هؤلاء التجار بالحصول على الأجر والثواب بأداء الفريضة وخدمة الحجاج، إلى جانب تمهيد الطرق لقوافلهم التجارية.

فقد انفق الخَوَاجَا شمس الدين محمد بن المُزَلِّق من أمواله على الإصلاحات والمنشآت بطريق الحج الشامي، وكان كثير السفر مع الحجاج إلى الحجاز لأداء فريضة

---

(١) النعيمي: الدارس، ج٢، ص ٢٣٣. وللمزيد عن نقش تجديد التربة البُصّية انظر: فرج حسين: النقوش الكتابية المملوكية، مج١، ص٨٣،مج٢، ص٥٤٠-٥٤١.

(٢) ابن الجزري: تاريخ حوادث الزمان، ج٣، ص ٨٠٥؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٨، ص٣٤٨؛ النعيمي: الدارس، ج٢، ص٢٤٦-٢٤٧.

(٣) دفتر تحرير الطابو رقم ٦٠٢، ص ١٨٧-١٨٨؛ النعيمي: الدارس ج٢، ص٢٩٠-٢٩١.

(٤) ابن حِجِّي: تاريخ ابن حِجِّي، ج٢، ص٦٢٧، ٧٧٧؛ ٨٢٤، ١٠٠٨؛ ابن قاضي شهبة: تاريخ ابن قاضي شهبة، ج٤، ص٣٥٩؛ ابن الحمصي: حوادث الزمان، ج١، ص٢٦٩، ٢٧٢.

الحج[١]. كما وقف الخَوَاجَا شرف الدين عيسى القاري في وقفيته المؤرخة في سنة ٨٨٣هـ/١٤٧٨-١٤٧٩م، مبلغ ثمانون دينارًا سنويًا في صرتين، كل صرة أربعون دينارًا، تخصص الصرة الأولى لملىء العين الموجودة بمرحلة الأخيضر على طريق الحج بالماء، وأن يقوم العرب في تلك المنطقة بأداء هذه المهمة، والصرة الثانية لملىء العين في العام التالي، مع تخصيص ثمن أدوات لرفع الماء وأجرة ملأ العين بالماء[٢]. وقد أشار الجزيري[٣] إلى ذلك في سياق حديثه عن وادي الأُخَيْضر، والعين(البئر) الموجودة هُناك وأهميتها بالنسبة للحجاج، بأنه لا يوجد في هذ المنطقة ماء « إلا بئر في وسط المفازة في مكان منه يعرف بالوادي الأُخَيْضر، وفم البئر ضيق لا يحمل نصب المساقي لسقاية الحِجِّيج، ولا يُعرف هذا البئر إلا بالوادي، فيُقال بئر وادي الأخيضر، واعتنى بعض التجار الشاميين بعمله وإصلاحه». كذلك أوقف الخَوَاجَا بدر الدين حسن بن محمد بن المُزَلِّق في سنة ٨٧١هـ/١٤٦٦-١٤٦٧م، على سحابة بطريق الحجاز[٤]، وهي بمثابة طائفة يرافقون الحجاج للمحافظة عليهم، ويكون مع السحابة جمال تحمل المشاة من الحجاج وتَصْرف لهم ما يحتاجون إليه من الماء والأطعمة ذهابًا وإيابًا[٥].

نستنتج مما سبق أن اهتمام التجار بطريق الحج والوقف عليه كان له دافعان: الأول ديني وهو تسهيل تأدية فريضة الحج وأخذ الثواب، والثاني اقتصادي يتجلى في استخدامه كأحد طرق القوافل التجارية لنقل الكارم من الحجاز إلى بلاد الشام.

ومن الأوقاف التي كان لها بُعد ديني، أوقاف فك أسرى المسلمين، فكان من الطبيعي أن يكون من آثار الحروب التي خاضها المماليك ضد الصليبيين والمغول والعثمانيين

---

(١) السخاوي: الضوء اللامع، ج٨، ص ١٧٤؛ النعيمي: الدارس، ج٢، ص٢٩٠.

(٢) دفتر تحرير الطابو رقم ٦٠٢، ص ٣.

(٣) الجزيري: عبد القادر بن محمد بن عبد القادر بن إبراهيم الأنصاري الحنبلي، توفي بعد ٩٧٧هـ/١٥٧٠م): الدُّرر الفَرائِد المُنظَّمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظَّمة، أعده للنشر حَمَد الجاسر، الطبعة الثانية، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، ج٢،، ص١٢٦٢. وقد وصف ابن طولون عقبة الأُخَيْضر في سنة ٩٢٠هـ/١٥١٥م، بأن بها بركة بها ماء إلى نحو النصف وإلى جانبها بئر، وكان يوجد بركتان ليس بهما ماء إحداهما للركب الحلبي والأخرى للركب الكركي. ابن طولون: البرق السامي في تعداد منازل الحج الشامي، نشر حمد الجاسر، مجلة العرب، السنة ١٠، الجزء ١١-١٢، الرياض، مايو-يونيو ١٩٧٦م، ص٨٨١.

(٤) دفتر تحرير الطابو رقم ٦٠٢، ص ١١٩؛ دفتر ٦٥٦، ص ١٢٧-١٢٨.

(٥) المقريزي: السلوك، ج٣ ق٢، ص٩٤٤؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، الطبعة الثانية، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠٠٦م، ج١٢، ص١٠٨-١٠٩ حاشية ٢.

والإمارات التركمانية وغيرهم، فضلاً عن اعتداءات القراصنة على سواحل الدولة المملوكية، وقوع أعداد من الأسرى في أيدي الأعداء، فكانت تجمع الأموال اللازمة من أجل فداء هؤلاء الأسرى، وتوضع في ديوان يُسمى ديوان الأسرى، وله ناظر يتولى الإشراف عليه، ومهمته التحدث على الأوقاف التي تُفدى بها الأسرى[١]، وكان هناك الكثير من الأوقاف التي خصص واقفوها من التجار وغيرهم جزء من ريعها لفك أسرى المسلمين، على نحو ما جاء في وقفية الخَوَاجَا شمس الدين محمد بن المُزَلِّق المؤرخة في سنة ٨٤٤هـ/١٤٤٠-١٤٤١م، حيث نصّت على أنه بعد انقراض الذرية يكون الربع من عائد الوقف على فكاك الأساري[٢] لوحة(٤).

هذا عن أثر أوقاف التجار في الحياة الدينية، أما بخصوص أثرها في الحياة العلمية فيظهر ذلك واضحًا من خلال المدارس ومكاتب تعليم الأيتام التي قاموا بتشييدها، فقد حرصوا على ترتيب عدد من الفقراء لحفظ القرآن وتعلمه، وكانوا يسكنون في بيت بمدرسة الواقف أو تربته، والإقامة بها ليلاً ونهارًا في أغلب الأحيان، وقد تفاوتت أعدادهم من وقفية لأخرى. وكان يُعيّن عليهم شيخ يعلمهم القرآن ويلقنهم، يكون حافظًا لكتاب الله، جيد القراءة، حسن الأداء. فكان من شروط وقف المدرسة الإسعردية أن يصرف في كل شهر ثلاثمائة درهم إلى عشرة من الفقراء يتعلمون القرآن، وعليهم الحضور والقراءة على الشيخ والتلقين وقراءة ما مضى، وأن يكونوا بالغين بذقون بحيث لا يكون أحدهم أمردًا، وأن يختموا مع شيخهم القراءة في آخر كل مجلس القراءة بسورة الإخلاص والمعوذتين وفاتحة الكتاب وأوائل سورة البقرة، وإهداء ثواب ذلك إلى الواقف ووالديه وأولاده ولجميع المسلمين، ويترحموا على الواقف والدعاء له بالمغفرة. كما اشترط الواقف أن يقوم الناظر بصرف من حفظ القرآن وكسوته بمبلغ خمسين درهمًا، وأن يقرر بدلاً منه فقيرًا آخر، ومن لم يحفظ القرآن في مدة ثلاثة سنين، يصرفه الناظر ويقرر مكانه، كما خصص لشيخ القراء مبلغ ستون درهمًا في كل شهر[٣].

---

(١) القَلْقَشَنْدي: صُبْح الأعْشَى، ج٤، ص١٩١؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٨، ص ٥٦٧؛ ابن قاضي شهبة: تاريخ ابن قاضي شهبة، ج٢، ص٩٥، ١٣٥، ٣١٣، ٥٨٩؛ ج٤، ص٦١؛ البُصرَوي: تاريخ البُصرَوي، ص ٧٨؛ ابن طولون: مُفاكهة الخِلان، ق١، ص١٨٢، ٢٤٤.

(٢) دفتر تحرير الطابو رقم ٣٩٣، ص ٨٢؛ دفتر ٦٥٦ ، ص ١٢٧-١٢٨.

(٣) دفتر تحرير الطابو رقم ٣٩٣، ص١٢؛ رقم ٦٠٢، ص ٩٨-٩٩؛ دفتر ٦٥٦، ص ١٥٩؛ جعفر الحسني: المدرسة الإسعردية، مج ٣٣، ج٤، ص٥٩٢.

ورتَّب الخَوَاجَا ابن دُلامة في مدرسته بالصالحية ستة من الفقراء الغرباء المهاجرين في قراءة القرآن، ولكل منهم ثلاثون درهمًا في كل شهر، وأن يكون الإمام هو من يتصدى شيخًا لإقرائهم القرآن في مقابل عشرون درهمًا إضافة إلى مائة درهم يتقاضاها عن وظيفة الإمامة[١]. وعيّن الخَوَاجَا شمس الدين محمد بن المُزَلِّق عشرة من الفقراء المشتغلين بالقرآن في تربته لكل فقير منهم خمسة وعشرون درهمًا في كل شهر، وعليهم الإقامة بتربة الواقف، ويصرف لكل فقير أربعة أواق خبز في كل يوم، وفروة يرتديها في الشتاء[٢]. وذكرت وقفية الخَوَاجَا شمس الدين محمد بن النحاس تعيين عشرة من الفقراء الراغبين في التعلم والتلقين من كتاب الله في مدرسته، وأن يُصرف لهم في كل شهر ثلاثمائة درهم، وثلث رطل خبز كل يوم، ولشيخهم مائة وعشرون درهمًا وثلثا رطل من الخبز[٣]. وكان من شروط وقف المدرسة الصابونية في سنة ٨٧٢هـ/ ١٤٦٧-١٤٦٨م، أن يرتب بها عشرة رجال من الطائفة الجبرتية لقراءة القرآن مع إقامتهم في خلاوي بالمدرسة لمدة ثلاث سنوات، ويصرف لكل واحد منهم مبلغ خمس وأربعون درهمًا في كل شهر[٤]. وتذكر لنا وقفية علاء الدين علي بن الصابوني في سنة ٩٠٣هـ/١٤٩٧-١٤٩٨م، أنه شرط أن يُصرف جزء من ريع الوقف لعشرة من طلاب العلم الشريف الشافعية المرتبين لقراءة الدرس في المدرسة الصابونية- مدرسة والده- وأن يقسم بينهم على اثني عشر نصيبًا، للشيخ نصيبان ولكل واحد من الطلبة نصيب[٥].

وحظي الأيتام بعناية كبيرة من التجار، من خلال تعليمهم في مكاتب أنشأوها لذلك، فقد شهد هذا النوع من التعليم اهتمامًا كبيرًا طوال عصر سلاطين المماليك، ووفر الرعاية العلمية والاجتماعية لهذه الفئة غير القادرة، والذي لم يكن في وسع ذويهم إرسالهم إلى مكاتب التعليم الخاصة أو احضار مؤدبين لهم في المنازل[٦]، حيث كان يُعيّن شيخ أو مؤدب عليهم يقوم بتعليمهم داخل هذه المكاتب، وكان يتم اختيارهم من بين العلماء الأكفاء

---

(١) دفتر تحرير الطابو رقم ٦٠٢، ص١٦٥؛ رقم ٦٥٦، ص٥٣-٥٤؛ النعيمي: الدارس، ج١، ص٩؛ ابن طولون: القلائد، ق١، ص١٢٥.

(٢) دفتر تحرير الطابو رقم ٦٠٢، ص ١٨٧.

(٣) دفتر تحرير الطابو رقم ٦٠٢، ص١٦١-١٦٢.

(٤) دفتر تحرير الطابو رقم ٦٠٢، ص١٦٤-١٦٥؛ رقم ٦٥٦، ص٥٣.

(٥) دفتر تحرير الطابو رقم دفتر ٣٩٣، ص ٨٥؛ دفتر ٦٠٢ ، ص ١٦٦.

(٦) عبد الغني محمود عبد العاطي: التعليم في مصر زمن الأيوبيين والمماليك، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٤م، ص ١٢٠.

الثقات، ووفرت الدولة أدوات الكتابة والقراءة لهم، وكانت هذه المكاتب ملحقة بالجوامع والمساجد والمدارس، وأحيان أخرى كانت منفردة[١]، فقد جرت العادة على بناء مكتب لتعليم الأيتام بجوار المسجد أو المدرسة فوق السبيل، ولذلك عُرف باسم «مسجد السبيل»، أو «كتاب السبيل»[٢].

وتُعد وقفية شُجاع الدين قيس التاجر المؤرخة في سنة ٦٨٧هـ/١٢٨٨-١٢٨٩م، على مصالح مسجده بالصالحية، من أقدم الوقفيات التي خصصت جزءًا من ريع الوقف على الأيتام، فقد شرط الواقف أن يقرر عشرة أيتام بمسجده[٣]، وقد أشار ابن المَبْرَد[٤] إلى هذا المسجد بأن عليه وقف كبير وبه قراءة أيتام، وهو الأمر الذي ورد في النقش الكتابي في البئر التي أنشأها الواقف بجوار مسجده بتاريخ ٦٨٦هـ/١٢٨٧م، أنه من «شرط الإمام أن يُعلم عشرة أيتام القرآن العزيز والخط والفقه»[٥]، وهو ما يُشير إلى تعلم الأيتام الخط وبعض دروس الفقه بجانب القرآن الكريم.

وتشير وقفية الخَوَاجَا برهان الدين الإسعردي أنه خصص بيتًا من داره في الصالحية لخمسة عشر يتيمًا وشيخهم، وصرف لهم في كل شهر مائة وخمسين درهمًا، ولشيخهم ستين درهمًا، وكان تعليمهم في المكتب الذي أنشأه في أعلى مدرسته، واشترط أن يكون الشيخ حافظًا لكتاب الله، جيد القراءة، حسن الأداء، عارفًا بالكتابة، يعلمهم القرآن والحفظ، والكتابة والأدب، وذلك من أول النهار إلى أذان العصر، ولهم يومًا للراحة في كل أسبوع بالإضافة إلى أيام العيدين والمواسم الدينية[٦]. أما الخَوَاجَا شهاب الدين أحمد بن دُلامة فقد فقد قرر ستة أيتام في المكتب أعلى باب مدرسته، لكل واحد منهم عشرة دراهم في كل شهر، ولشيخهم ستون درهمًا[٧] .

---

(١) يُسري أحمد زيدان: رعاية الأيتام في العصر المملوكي(٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م)، مجلة المؤرخ العربي، العدد الخامس عشر، مارس ٢٠٠٧م، ص٢٩٠، ٢٩٧.

(٢) محمد أمين: الأوقاف والحياة الاجتماعية، ص٢٦٢-٢٦٣.

(٣) دفتر تحرير الطابو رقم ٣٩٣، ص ٥٩؛ دفتر ٦٥٦، ص ٨٦.

(٤) ثمار المقاصد، ص ١٤٩.

(٥) ابن طولون: القلائد، ق١، ص ٣٥٣، حاشية(٢).

(٦) دفتر تحرير الطابو رقم ٣٩٣، ص١٢؛ رقم ٦٠٢، ص ٩٩؛ دفتر ٦٥٦، ص ١٥٩؛ جعفر الحسني: المدرسة الإسعردية، ٥٩٣.

(٧) النعيمي: الدارس، ج١، ص٩-١٠؛ ابن طولون: القلائد، ق١، ص ١٢٥، ١٢٧.

ورتب الخَوَاجَا شمس الدين محمد بن المُزَلِّق في المكتب بجوار تربته المعروفة بالتربة المُزَلِّقية عشرة أيتام يحصلون على مائة درهم في كل شهر، ولشيخهم ستون درهمًا، وللأيتام المترددين على المكتب عشرون درهمًا[١]، وهو ما يوضح الفرق بين الأيتام الأساسيين المرتبين في المكتب والمترددين عليه من خارجه. وبلغ عدد الأيتام في المدرسة الصابونية عشرة أيتام، في مكتب السبيل شرقي المدرسة (الجامع) ويُصرف لهم مائة درهم في كل شهر، ولشيخهم خمسون درهمًا[٢].

يتضح مما سبق اهتمام بعض الواقفين بتعليم الأيتام بهدف تنشئتهم نشأة علمية ليصبحوا قادرين على تحمل مسؤولياتهم فيما بعد، كما يتبيّن اختلاف أعدادهم من وقفية إلى أخرى وفقًا لشروط الواقفين ومقدار العوائد المالية من الأعيان الموقوفة، فضلاً عن تفاوت المرتبات المخصصة لهم، والتي جاءت متفاوتة في كثير من الأحيان.

<u>خامسًا: أثر أوقاف التجار في الحياة الاجتماعية:</u>

كانت الأوقاف الأهلية(الذرية) أكثر أنواع الوقف انتشارًا، حيث يوقفها الواقف على نفسه ومن بعده على أولاده، وذريتهم ونسلهم، وبعد ذلك تؤول على جهات البر والصدقة، و في هذه الحالة تحول الوقف الأهلي إلى الوقف الخيري، في محاولة من هؤلاء الواقفين تحصين أموالهم وعقاراتهم من المصادرات، وبمعنى آخر إخفاء وقفهم الأهلي على أنفسهم وذرياتهم بعدهم خلف الوقف الخيري على المنشآت الدينية والتعليمية كالجوامع والمدارس والخوانق وغير ذلك. وقد اعتبر أحد الباحثين[٣] أن هذا النوع من الوقف لم يكن خالصًا لوجه الله، بل كان الغرض منه تحصين الأموال ضد المصادرة.

وعلى الرغم من ذلك، فإنه لا يمكن إغفال حق التجار في وقف أملاكهم وأموالهم على أولادهم وذرياتهم، والإفادة من ريعها كحق مكتسب لهم، وتوفير حياة كريمة لهم وصيانتهم، وضمان موردًا اقتصاديًا ثابتًا، ولا يمكن أن نغفل أيضًا الظروف المحيطة بهم وطمع الدولة في أموالهم، وهو ما سبق وأن تحدثنا عنه من قبل، حتى أن سلاطين المماليك وأمرائهم فعلوا الأمر نفسه، وأوقفوا على أنفسهم وعلى أولادهم، وبعد ذلك على جهة خيرية.

---

(١) تاريخ سجل الوقفية في سنة ٨٥١هـ .دفتر تحرير الطابو رقم ٦٠٢، ص ١٨٧. كما حدد في وقفية أخرى أنه بعد انقراض الذرية يعود الوقف على الأيتام والمكتب.

(٢) دفتر تحرير الطابو رقم ٦٠٢، ص١٦٥؛ رقم ٦٥٦، ص٥٣.

(٣) محمد أمين: الأوقاف والحياة الاجتماعية، ص ٧٧-٧٨.

على أية حال، كانت الأوقاف الذرية التي أوقفها التجار سببًا لزيادة صلة الأرحام بينهم وبين أبنائهم وأقاربهم، بالتصدق عليهم وحمايتهم من تقلبات الدهر، وقد اختلفت شروطهم حول استحقاق الذرية من وقفية لأخرى. ففي أكثرها يكون الوقف على الواقف ثم أولاده وعقبهم، وبعد الانقراض على جهات بر وصدقة، والتي كانت في أغلبها على الحرمين الشريفين والفقراء.

وفي حالات أخرى اشترط الواقفون صرف جزء من ريع أوقافهم على أقاربهم سواء آبائهم أو اخوتهم، فكان نصيب والدة الخَوَاجَا شمس الدين محمد بن علي بن عمر القونسي في وقفيته المؤرخة في سنة ٨٨٨هـ/١٤٨٣م، ثلاثة أسهم من ريع الوقف، ثم من بعدها عليه إن كان على قيد الحياة، وبعده على أولاده ونسلهم [١] لوحة(٣). وفي حالات أخرى كان يعود الوقف على اخوته، فقد نصت ثلاث وقفيات للخواجا شمس الدين محمد بن الزَّمِن أن يعود الوقف بعد أولاده على أولاد أخيه نجم الدين عبد الكريم[٢]، وأولادهم ونسلهم[٣].

وجاء في وقفية الخَوَاجَا نور الدين علي بن بن الصابوني في سنة ٨٦٩هـ/١٤٦٤-١٤٦٥م، أن الوقف يكون على نفسه وولده، ومن توفي منهما ينتقل نصيبه للآخر، وبعد وفاتهما ينتقل ثلاثة أرباع ريع الوقف بعد صرف مصارفه لأولاد الواقف والربع لإخوة الواقف وأولادهم وذريتهم[٤]. في حين نصت وقفية الخَوَاجَا زين الدين عبد الرحمن بن احمد بن دُلامة المؤرخة سنة ٨٨٦هـ/١٤٨١م، أن يكون الوقف على نفسه ثم أولاده وذريته، ومن بعدهم النصف على أخويه عمر ومريم ثم على أولادهما[٥]. وحدد الخَوَاجَا شمس الدين محمد بن إبراهيم الصفيّ في وقفيته بتاريخ ٨٩٣هـ/ ١٤٨٨م، أن ما تبقى من مصارف الوقف يكون له، و بعد وفاته يُخصص مبلغ ثمانية دراهم كل يوم لأختيه، ومن تزوجت منهما أو توفيت عاد نصيبها مضافًا إلى ريع الوقف، وبقية عوائد الريع لابنه وأولاده وذريتهم ونسلهم[٦].

---

(١) دفتر تحرير الطابو رقم ٦٠٢، ص ٢٥٥؛ دفتر ٦٥٦، ص ٢٣٥.

(٢) هو نجم الدين عبد الكريم بن عمر بن محمد بن عمر بن الزَّمِن الدِّمَشْقِي، كان تاجرًا من التجار الكبار، توفي فِي رجب ٨٧٩هـ/ نوفمبر ١٤٧٤م. (السخاوي: الضوء اللامع، ج٤، ص٣١٦ رقم ٨٥٩).

(٣) دفتر تحرير الطابو رقم ٦٠٢، ص١٢٦؛ دفتر ٦٥٦، ص١٦٧.

(٤) دفتر تحرير الطابو رقم ٣٩٣، ص ١٦٨؛ دفتر٦٠٢، ص٢٧٧.

(٥) دفتر تحرير الطابو رقم ٦٠٢، ص ٧٦؛ دفتر ٦٥٦، ص ١٩٣.

(٦) دفتر تحرير الطابو رقم ٣٩٣، ص ١٦؛ دفتر ٦٠٢، ص٤٣.

واشترط الخَوَاجَا شمس الدين محمد بن عيسى بن عبد الله القاري في وقفيته المؤرخة في سنة ٨٩٩هـ/١٤٩٤م، الوقف على نفسه ثم على أولاده وذريته ثم من بعدهم على اخوة الواقف وأولادهم وأعقابهم وبعد ذلك من يوجد من أقارب الواقف ونسلهم(١). في حين اختص الخَوَاجَا زين الدين عبد الغني بن المُزَلِّق(٢) في وقفيته سنة ٩٠٥هـ/١٤٩٩-١٥٠٠م، بالوقف على نفسه ثم على أولاده وأولادهم ونسلهم وأعقابهم ثم على ذرية ابن عمه القاضي شمس الدين محمد بن بدر الدين حسن بن المُزَلِّق(٣)، وبعد وفاته على التربة المُزَلِّقية(٤). أما الخَوَاجَا زين الدين عبد القادر بن شمس الدين محمد بن عيسى القاري فقد جعل في وقفيته بتاريخ سنة ٩٢٢هـ/١٥١٦م، الوقف على نفسه ومن بعده على أولاده وعقبهم من الظهور ثم لذوي البطون، وبعد ذلك لأخيه وأولاده وذريتهم(٥).

وفي حالات أخرى كان الوقف يؤول إلى عتقاء الواقف عند انقطاع ذريته، ففي وقفيتين للخواجا شمس الدين محمد بن الصباغ بتاريخ سنة ٨٦٦هـ/١٤٦١-١٤٦٢م، وسنة ٨٦٧هـ/١٤٦٢-١٤٦٣م، جعل لعتقائه الوقف بعد أولاده ونسلهم(٦). كذلك آل الوقف في وقفية المدرسة الصابونية على ابنه الخَوَاجَا نور الدين علي، ثم على أولاده حتى الانقراض، وبعد ذلك يكون النصف على عتقاء الواقف وعتقاء ولده وأولادهم ونسلهم والنصف الثاني يشتري به خبز يوزع على الفقراء في كل يوم على باب التربة، فإذا انقرض العتقاء عاد ما كان يُصرف لهم على النصف الثاني في شراء خبز للفقراء(٧). وفي وقفية

---

(١) دفتر تحرير الطابو رقم ٣٩٣، ص ١٩؛ دفتر ٦٠٢، ص١١١؛ دفتر ٦٥٦، ص ١١٢.

(٢) هو الخَوَاجَا عبد الغني بن ناصر الدين محمد بن المُزَلِّق، أحد كبار التجار بدمشق، وناظر وقف الخَوَاجَا شمس الدين محمد بن المُزَلِّق، توفي في جُمادى الآخرة سنة ٩١٦هـ/سبتمبر ١٥١٠م، ودفن بتربتهم المُزَلِّقية.(ابن الحمصي: حوادث الزمان، ج٢، ص١٩٩؛ ابن المَلا الحَصْكفي: مُتْعَةُ الأَذْهَان، ج١، ص٤٣٤ رقم ٤٤٣).

(٣) هو شمس الدين محمد بن بدر الدين حسن بن محمد بن علي بن المُزَلِّق، قاضي القضاة بدمشق، مات مقتولا في رجب سنة ٩٠٢هـ/مارس ١٤٩٧م، ودفن بتربتهم المُزَلِّقية.(البُصرَوِي: تاريخ البُصرَوِي، ص٢٠٧؛ ابن المَلا الحَصْكفي: مُتْعَةُ الأَذْهَان، ج٢، ص٦٢٧ رقم ٧١٣؛ ابن الغَزّي: الكواكب السائرة، ج١، ص ٣٧ رقم ٥٩).

(٤) دفتر تحرير الطابو رقم ٣٩٣، ص ١٤؛ دفتر ٦٠٢، ص ١٢٧.

(٥) دفتر تحرير الطابو رقم ٦٠٢، ص ٢٠٦.

(٦) دفتر تحرير الطابو رقم ٦٠٢، ص ١٦٥؛ دفتر ٦٥٦، ص ٥٣.

(٧) دفتر تحرير الطابو رقم ٣٩٣، ص ١٢١؛ دفتر ٦٠٢، ص٣١٩-٣٢٠.

شرف الدين عيسى القاري بتاريخ ٨٨٣هـ/١٤٧٨م، اشترط أن يعود الوقف عليه ثم على أولاده ونسلهم، وبعد الانقراض على عتقاء الواقف وأولادهم ونسلهم[١].

من العرض السابق وما تخلله من أمثله، يتبيّن أن الأوقاف الذرية أظهرت تفاوتًا في درجة القرابة المستحقة لريع الوقف، حيث كانت واضحة وبشكل كبير على أبناء الواقف وأولادهم وذرياتهم، ثم بعد ذلك على إخوته، وفي حالات قليلة خارج نطاق الأسرة مثل عتقائه، ونلحظ من ذلك أثر الوقف في المحافظة على صلة الأرحام في الأسرة والعائلة الواحدة، بالإضافة إلى محافظة الواقفين على عتقائهم في أن يعيشوا حياة كريمة.

ونظرًا لكون الأوقاف كانت قائمة بشكل كبير على الصدقة والبر، فكانت بمثابة ضمان دخل ثابت للإنفاق على عدد كبير من المنشآت الدينية والتعليمية، وباعتبارها صدقة جارية لا تنقطع، فقد قامت بدور كبير في مجال الرعاية الاجتماعية، فقد اهتم الواقفون بتقديم المساعدات المالية والعينية للفقراء والمساكين في كثير من المناسبات، وخصصوا لهم بعض المبالغ النقدية، أو توزيع الخبز عليهم، حيث كان لهم نصيب وافر من ريع الوقف. ونستدل من الوقفيات على أن الوقف الخيري جاء في المرتبة الثانية بعد الوقف على ذرية الواقف.

فكان من شروط وقف المدرسة الإسعردية، صرف عشرة دراهم لشراء خبز يفرق على الفقراء أمام باب المدرسة كل ليلة جمعة، كما شرط أنه في حالة انقراض الذرية يُصرف الجزء الفاضل من الوقف المخصص في حالة انقراض الذرية على ثمن خبز يُفرق على الفقراء والمساكين المسلمين على باب المدرسة، وفي حالة تعذر صرف شيء من مصارف الوقف المحددة يخصص ذلك في شراء خبز يفرق على الفقراء والمساكين على باب المدرسة أيضًا[٢]. وهو ما يُشير إلى اهتمام الواقف بالفقراء والمساكين سواء بصرف مبلغ مالي أسبوعي من ريع الوقف، وكذلك الأمر بعد انقراض ذريته، أو عند تعذر صرف أحد مصارف الوقف.

وتذكر وقفية الخَوَاجَا شمس الدين محمد بن المُزَلِّق ٨٤٤هـ/١٤٤٠-١٤٤١م، أنه في حالة انقراض ذريته يكون الربع من عائد الوقف للفقراء والمساكين[٣]. ونصت وقفية الخَوَاجَا علاء الدين علي بن الصابوني، أنه في حالة تعذر الصرف في الجهات المقررة

---

(١) دفتر تحرير الطابو رقم ٦٠٢، ص ٣؛ دفتر ٦٥٦، ص ١٠٩.

(٢) دفتر تحرير الطابو رقم ٣٩٣، ص١٢؛ رقم ٦٠٢، ص ٩٨-٩٩؛ دفتر ٦٥٦، ص ١٥٩؛ جعفر الحسني: المدرسة الإسعردية، ص٥٩٦-٥٩٧.

(٣) دفتر تحرير الطابو رقم ٣٩٣، ص ٨٢؛ دفتر ٦٥٦ رقم ١٢٧-١٢٨.

صرفت للفقراء والمساكين[١]. كما شرط الخَوَاجَا شهاب الدين أحمد بن الصابوني أنه بعد انقراض الذرية يخصص نصف العائد لشراء خبز يفرق على أرباب الوظائف بالجامع (المدرسة)، والباقي على الفقراء والمساكين في كل يوم على باب التربة[٢]. وجاء في وقفية التربة المُزَلِّقية أنه بعد موت ذرية الواقف يكون الوقف على فقراء المالكية والحنابلة، وفقراء مكة والمدينة المنورة[٣]. وخصص الخَوَاجَا نور الدين بن الصابوني ٨٦٩هـ/ ١٤٦٤-١٤٦٥م، في وقفيته مبلغ اثني عشرة دينار لشراء خبز في أيام الجمعة للفقراء والمساكين[٤]. أما الخَوَاجَا برهان الدين إبراهيم بن قنديل فقد شرط في وقفيته المؤرخة في سنة ٨٧٩هـ/١٤٧٤-١٤٧٥م، على صرف تسعمائة درهم للفقراء بمكة والمدينة المنورة في كل سنة، كذلك يعود الوقف عليهم بعد انقراض ذريته[٥] لوحة(٥). وقرر الخَوَاجَا شمس الدين محمد بن إبراهيم الصفيّ في وقفيته المؤرخة سنة ٨٩٣هـ/١٤٨٨م، أن يُصرف بعد وفاته عشرة دراهم في كل شهر يخصص جزء منها لشراء خبز يوزع على الفقراء والمساكين[٦].

كما اهتم الواقفون بالصرف على إعداد طعام الدشيشة بدمشق ومكة والمدينة المنورة، لإطعام الفقراء، والدشيشة هي طعام يُطبخ من القمح والزيت والبصل والملح ويُضاف عليه اللحم في بعض الأحيان. فتذكر وقفية الخَوَاجَا شمس الدين محمد بن الزَّمِن بتاريخ ٨٦٤هـ/١٤٥٩-١٤٦٠م، أنه خصص من ريع الوقف مائة وخمسون درهمًا لمطبخ الدشيشة في باب البريد[٧] بدمشق. كذلك خصص في وقفية أخرى مؤرخة في السنة نفسها غِرَارتين[٨] قمح للمدرسة العمرية، وغرارتين ونصف لزاوية ابن داود بسفح جبل قاسيون

---

(١) دفتر تحرير الطابو رقم ٣٩٣، ص ٨٥؛ دفتر ٦٠٢، ص ١٦٦.

(٢) دفتر تحرير الطابو رقم ٦٠٢، ص١٦٤-١٦٥؛ رقم ٦٥٦، ص٥٣-٥٤.

(٣) دفتر تحرير الطابو رقم ٦٠٢، ص١٨٧.

(٤) دفتر تحرير الطابو رقم ٣٩٣، ص١٦٨؛ رقم ٦٠٢، ص ٢٧٧.

(٥) دفتر تحرير الطابو رقم ٦٠٢، ص٢٠٠؛ دفتر ٦٥٦، ص٢٠٣.

(٦) دفتر تحرير الطابو رقم ٣٩٣، ص ١٦؛ دفتر ٦٠٢، ص ٤٣.

(٧) باب البريد: الباب الغربي لمعبد جوبتر، وكان موضعه في آخر سوق الحميدية من جهة الشرق، حيث محلّة باب البريد اليوم، وظل قائمًا حتى نقله الملك العادل أبو بكر الأيوبي عند عمارته قلعة دمشق في سنة ٥٩٩هـ/١٢٠٢م.(الشهابي: معجم دمشق، ج١، ص ١٩).

(٨) الغِرَارة: وحدة الكيل الرئيسي للحبوب في دمشق، وهي تساوي اثنا عشر كيلاً، والكيل يساوي أمداد أمداد، أمداد، ونسبة ما بين الغرارة والإردب أن كل غرارة ومدّ ونصف تساوي ثلاثة أرادب بالمصري. وذكر المقريزي بأنها تساوي ثلاثة أرادب مصرية، في حين حدد البعض وزنها بحوالي ٢٠٤.٥ كجم، و٣١٠.٨

تطبخ دشيشة تفرق على الفقراء والمساكين، ومبلغ ألفي درهم، منها مائتي درهم للعامل على الوقف في أربعة أشهر كل شهر خمسين درهمًا، وذلك في فترة طبخ الدشيشة، وباقي المبلغ المحدد وهي ألف وثمانمائة درهم، تُصرف في ثمن زيت وملح وبصل وحطب وأجرة الطباخ[١]. كما حدد في وقفية ثالثة بتاريخ سنة ٨٦٦هـ/١٤٦١-١٤٦٢م، صرف ثلاثة أحمال دقيق وعشرة أرادب[٢] قمحًا في كل سنة، وخمسة وعشرون رطل[٣] مصري من اللحم الضأني والمعزي والبقري لطبخ دشيشة في مكة، بالإضافة إلى صرف مبلغ عشرة دنانير أشرفية، أجرة طبخها، وثمن حطب، وأجرة فران، وبعد ذلك تُفرق على الفقراء هُناك[٤].

في حين ذكرت وقفية الخَوَاجَا شرف الدين عيسى القاري المؤرخة في سنة ٨٨٣هـ/١٤٧٨م، أنه خصص في كل سنة مبلغ ألف وثمانمائة درهم سنويًا برسم مطبخ الدشيشة في باب البريد بدمشق، في كل يوم خمس دراهم خبز برسم الدشيشة، وألفي درهم لشراء قمح من المدينة المنورة لطبخ الدشيشة برِباط دُكالة بها، في الأشهر الثلاثة(رجب وشعبان ورمضان)، وخمسمائة درهم في شراء مستلزمات عمل الدشيشة من زيت وملح وبصل وحطب وأجرة طبخها، وغير ذلك[٥]. أما الخَوَاجَا جمال الدين يوسف بن قبّاس فقرر من ريع وقفه مبلغ ألف درهم في كل سنة لمطبخ الدشيشة بباب البريد[٦].

كذلك وجد من الواقفين من اهتم بتيسير الحصول على مياه الشرب، حيث أصبح تسبيل الماء العذب، وتسهيل الحصول عليه من وجوه البر[٧]، وكان توفير الماء في

كجم.(لمزيد من التفاصيل انظر: القَلْقَشَنْدي: صُبْح الأعْشَى، ج٤، ص١٨١؛ المقريزي: السلوك، ج٣ق٣، ص١١٢١؛ فالتر هنتس: المكاييل والأوزان الإسلامية، ص٦٤).

(١) دفتر تحرير الطابو رقم ٦٠٢، ص ٨٩. دفتر ٨٦٣ .

(٢) أرادب: جمع إرْدَبّ، والاردب مكيال مصري يتألف من ستة ويبات، كل ويبة ستة عشرة قدحًا، وكل ستة وتسعين قدحًا تسمى إردبًا، وهو يساوي حوالي ٦٩.٦ كجم من القمح، أو ٥٦ كجم من الشعير. ويتفاوت مقدار الإردب في الوجهين القبلي والبحري.(القَلْقَشَنْدي: صُبْح الأعْشَى، ج٣، ص٤٤٥؛ فالتر هنتس: المكاييل والأوزان الإسلامية، ص٥٨).

(٣) الرطل: من الأوزان، وكان يزن في القاهرة والفسطاط باثنتي عشرة أوقية، كل أوقية اثني عشر درهمًا، أي يساوي مائة وأربعة وأربعون درهمًا.(القَلْقَشَنْدي: صُبْح الأعْشَى، ج٣، ص٤٤٥؛ فالتر هنتس: المكاييل والأوزان الإسلامية، ص ٣٢).

(٤) دفتر تحرير الطابو رقم ٦٠٢، ص ١٢٦.

(٥) دفتر تحرير الطابو رقم ٦٠٢، ص ٣.

(٦) دفتر تحرير الطابو رقم ٣٩٣، ص٢٢؛ دفتر ٦٠٢، ص ١٠٣؛ دفتر ٦٥٦، ص٢٦٣.

(٧) محمد أمين: الأوقاف والحياة الاجتماعية، ص١٤٨-١٤٩.

الحرمين الشريفين من الأمور التي حرص عليها الواقفون، خاصة وأن نقص المياه له تأثير على الحجاج والمعتمرين والمجاورين بمكة والمدينة المنورة. فقد شرط الخَوَاجَا نور الدين بن الصابوني ٨٦٩هـ/١٤٦٤-١٤٦٥م، أن يُصرف خمسة دنانير أشرفية في كل سنة لماء يسبل كل يوم بالحرم المكي في خمسة دوارق، ومثل ذلك في الحرم النبوي(١). فتذكر وقفية الخَوَاجَا شمس الدين محمد بن إبراهيم الصفيّ المؤرخة سنة ٨٩٣هـ/١٤٨٨م، أن يُصرف بعد وفاته عشرة دراهم في كل شهر لتسبيل الماء وتوزيع خبز على الفقراء والمساكين(٢). ونصت وقفية الخَوَاجَا زين الدين عبد القادر بن شمس الدين محمد بن عيسى القاري في سنة ٩٢٢هـ/١٥١٦م، على صرف تسبيل ماء في الحرم المكي في ثلاث دوارق كل يوم(٣). يوم(٣).

وفيما يتعلق بالرعاية الصحية، فقد خصصوا النفقات المالية اللازمة لها من ريع الوقف، فقد أشارت وقفية الخَوَاجَا ابن القونسي في سنة ٨٨٨هـ/١٤٨٣م، إلى تعيين جزء من الوقف بعد انقراض الذرية على البيمارستان بمكة والمدينة(٤). وتذكر وقفية الخَوَاجَا العلائي علي بن الشهابي أحمد بن الصابوني بتاريخ سنة ٩٠٣هـ/١٤٩٧-١٤٩٨م، أنه قسم الجزء المتبقي من ريع الوقف على عشرة أعشار، منها تسعة أعشار على نصفين، النصف الأول على خمسة أخماس، الخمس الأول على مصاريف البيمارستان بمكة، والخمس الثاني على بيمارستان المدينة(٥).

ولم تقتصر الرعاية الصحية على الصرف على البيمارستان في مكة والمدينة، بل شملت العناية بالجُذماء، وهم المصابون بمرض الجذام في دمشق وغيرها، فقد خصص الخَوَاجَا شمس الدين محمد بن الصباغ المؤرخة في سنة ٨٦٦هـ/١٤٦٢م، خمسمائة درهم سنويًا لطائفة الجذماء بدمشق(٦). أما الخَوَاجَا عماد الدين إسماعيل بن عتور(٧)، فقد شرط

---

(١) دفتر تحرير الطابو رقم ٣٩٣، ص١٦٨؛ دفتر ٦٠٢، ص ٢٧٧.

(٢) دفتر تحرير الطابو رقم ٣٩٣، ص ١٦؛ دفتر ٦٠٢، ص ٤٣.

(٣) دفتر تحرير الطابو رقم ٦٠٢، ص ٢٠٥-٢٠٦.

(٤) دفتر تحرير الطابو رقم ٣٩٣، ص ٩٤؛ دفتر ٦٠٢، ص ٢٥٥؛ دفتر ٦٥٦، ص ٢٣٥.

(٥) دفتر تحرير الطابو رقم دفتر ٣٩٣، ص ٨٥؛ دفتر ٦٠٢ ، ص ١٦٦.

(٦) دفتر تحرير الطابو رقم ٣٩٣، ص١٢١؛ رقم ٦٠٢، ص ٣١٩-٣٢٠.

(٧) لم أعثر على ترجمته فيما توفر من مصادر، وقد ذكر الغَزّي اسمه في سياق ترجمة ابنه الخَوَاجَا أحمد وفيها:« **أحمد بن إسماعيل، الخَوَاجَا الكبير الصالح المتدين المتصوف بل الولي المشهور شهاب**

شرط في وقفيته بتاريخ سنة ٩١١هـ/١٥٠٥م، أن يعود الوقف بعد انقراض ذريته على طائفة الجذماء[١]. في حين شرط الخَوَاجَا شرف الدين عيسى القاري في وقفيته بتاريخ سنة ٨٩٢هـ/١٤٨٧م، أن يكون للجذماء بدمشق ثلث عائد الوقف بعد انقراض الذرية[٢]. وأشارت وقفية الخَوَاجَا العلائي علي بن الشهابي أحمد بن الصابوني في سنة ٩٠٣هـ/١٤٩٧-١٤٩٨م، إلى أماكن إقامة مرضى الجذام في دمشق، حيث ذكرت أن الواقف قسّم ريع مزرعة عين صوفي ومزارعها المختلفة، إلى عشرة أقسام، منها تسعة أعشار على ثلاثة أثلاث، كان الثلث الأول على الجذماء المقيمين خارج الباب الشرقي[٣] بدمشق، كما خصص جزء من ريع الوقف المتبقي له على الجذماء[٤].

ومما يلفت النظر أن كثيرًا من الوقفيات نصّت على صرف مرتبات عينية يوميًا أو شهريًا أو سنويًا على حسب شروط الواقف، وكانت تُفَرّق في كثير من الأحيان على أرباب الوظائف في المنشآت الدينية والتعليمية الموقوفة في بعض المناسبات الدينية المختلفة في شهر رجب، وليلة النصف من شعبان، و شهر رمضان، وفي عيد الفطر والأضحى، وهو ما يمكن أن نعتبره بمثابة التوسعة عليهم. كما أنها لم تقتصر على أرباب الوظائف بل شملت الفقراء والمساكين.

فقد اشترط شجاع الدين قيس التاجر أن يُصرف كل يوم رطلان ونصف خبز تفرق على الأيتام في مسجده بالصالحية[٥]. وقرر الخَوَاجَا غياث الدين محمد بن إبراهيم الكججي في وقفيته أن يُصرف للفقراء الصوفية بالخانْقاه الكُجُجانية في كل يوم أوقية لحم وزبدية طعام ونصف رطل خبز، وفي كل شهر نصف رطل زيت ونصف رطل صابون ونصف رطل حلاوة عجمية[٦]. في حين خصص الخَوَاجَا ابن الإسعردي في ليلة الرغائب في شهر رجب

الدين ابن الخَوَاجَا عماد الدين بن عتور»، توفي في سنة ٩٤٥هـ/١٥٣٨م.(الكواكب السائرة، ج٢، ص ١٠٤).

(١) دفتر تحرير الطابو رقم ٦٠٢، ص ٢٤٤؛ دفتر ٦٥٦ ، ص١١٨.

(٢) دفتر تحرير الطابو رقم ٦٠٢، ص٥؛ رقم ٦٥٦، ص١١٢.

(٣) الباب الشرقي: من أبواب دمشق في الجهة الشرقية للسور، بناه الرومان على أنقاض الباب اليوناني، وجدد في عهد السُّلْطان نور الدين محمود في سنة ٥٥٩هـ/١١٦٣/١١٦٤م، وبنى فوقه مأذنة مربعة، وقد جددّت في العصر العثماني.(الشهابي: معجم دمشق، ج١، ص٢٦).

(٤) دفتر تحرير الطابو رقم دفتر ٣٩٣، ص ٨٥؛ دفتر ٦٠٢ ، ص ١٦٦.

(٥) دفتر تحرير الطابو رقم ٣٩٣، ص٥٩؛ رقم ٦٠٢، ص ٢٥٣؛ دفتر ٦٥٦، ص٨٦.

(٦) دفتر تحرير الطابو رقم ٣٩٣، ص٩٨؛ رقم ٦٠٢، ص ١٧٣.

من كل سنة مبلغ خمسين درهمًا يُشترى بها حلوى وخبز تفرق على الأيتام الخمسة عشر وشيخهم، والفقراء العشرة الذين يتعلمون القرآن وشيخهم، ويصرف مثل هذا المبلغ في ليلة النصف من شعبان وليلة عيد الفطر، أما في عيد الأضحى فخصص مائة درهم لشراء بقرة أو غيرها تذبح أضحية وتوزع على الأيتام والفقراء وشيخهما(١).

أما الخَوَاجَا ابن دلامة فقد قرر لأرباب الوظائف في مدرسته خمسة عشر رطلا من الحلوى، ورأسين غنمًا أضحية، وجُبَّة(٢) قطنية وقميصًا(٣) ومنديلاً(٤)، لكل من الأيتام الستة(٥). ورتب الخَوَاجَا ابن النحاس لأرباب الوظائف في مدرسته بعض المستحقات الإضافة اليومية، فكان نصيب الإمام ثلثي رطل خبز، وللفقراء العشرة ثلث رطل ومثلها لرجل يعمل بوابًا ومؤذنًا وقيّمًا(٦). ونصّت وقفية الخَوَاجَا شمس الدين محمد بن القونسي المؤرخة المؤرخة سنة ٨٨٨هـ/١٤٨٣م، أنه صرف من ريع الوقف ثياب خام ترسل الى المدينة المنورة وتفرق على الفقراء(٧). وشرط الخَوَاجَا شمس الدين محمد بن المُزَلِّق للفقراء العشرة في تربته أربعة أواق خبز، وفروة(٨) يرتدونها في الشتاء في كل سنة(٩). وكان من مصارف

---

(١) دفتر تحرير الطابو رقم ٣٩٣، ص١٢؛ رقم ٦٠٢، ص ٩٨-٩٩؛ دفتر ٦٥٦، ص ١٥٩؛ جعفر الحسني: المدرسة الإسعردية، ص٥٩٣-٥٩٤.

(٢) الجُبَّة: هي ضرب من مقطعات الثياب، وهي لباس خارجي من القماش الطويل، مفتوح من الأمام،واسع الأكمام مثل الرداء وتلبس مع الإزار وفوق القميص.(محمد عيسى صالحية: «من وثائق الحرم القدسي الشريف المملوكية»، حوليات كلية الآداب، جامعة الكويت، الحولية السادسة، الرسالة السادسة والعشرون، ١٩٨٥م، ص٢٣).

(٣) القميص: كان القميص على شكل لباس بفتحة عنق دائرية وبدون فتحة أمامية، وقد اختلفت أطواله باختلاف رغبات الناس، وكانت أكمامه تتراوح بين الاتساع والضيق .(محمد عيسى صالحية: من وثائق الحرم القدسي، ص٢١).

(٤) المنديل: قطعة من القماش استعملها الناس على مختلف طبقاتهم، وتكون كبيرة وصغيرة، وإذا ما كان المنديل كبيرًا فإنه يلف فوق الرأس في حالة عدم وجود العمامة، وكانت المناديل منسوجة من الكتان أو الحرير، وفي معظم الأحيان تكون مطرزة.(محمد عيسى صالحية: من وثائق الحرم القدسي، ص٢٢).

(٥) ابن طولون: القلائد، ق١، ص ١٢٥.

(٦) دفتر تحرير الطابو رقم ٦٠٢، ص ١٦١.

(٧) دفتر تحرير الطابو رقم ٣٩٣، ص ٩٤؛ دفتر ٦٠٢، ص ٢٥٥؛ دفتر ٦٥٦، ص ٢٣٥.

(٨) فَرْوة: الجمع فراوي، نوع من غطاء الرأس، والفَرو، جلد بعض الحيوانات كالدببة والثعالب تدبغ ويتخذ منها منها ملابس للدفء، وللزينة.(رينهارت دوزي: تكملة المعاجم العربية، ترجمة محمد سليم النعيمي، الطبعة الأولى، دار الشؤون الثقافية العام، بغداد، ١٩٧٧م، ج٨، ص ٦٣).

(٩) دفتر تحرير الطابو رقم ٦٠٢، ص ١٨٧.

مصارف وقف المدرسة الصابونية، تخصيص ثلاثمائة وثلاثين درهمًا لشراء أضحية تفرق على المستحقين، ومبلغ ثمانمائة درهم ثمن كسوة للأيتام العشرة والفقراء العشرة المرتبين بالمدرسة(١).

خاتمة:

توصلت الدراسة إلى عدد من النتائج نعرض لها فيما يلي:

– ألقت الدراسة الضوء على فئة فاعلة في المجتمع الدمشقي يملكون عصب الاقتصاد في المدينة وأسهموا بنصيب وافر في الحياة الدينية والعلمية والاقتصادية والاجتماعية من خلال نشاطهم في مجال الوقف باعتباره من الجوانب المهمة في الحياة الاجتماعية.

– تنوعت دوافع أوقاف التجار بين دوافع دينية، واقتصادية، واجتماعية، وكان الدافع الديني هو الأساس في ذلك، طلبًا للأجر والثواب من الله عز وجَلّ. في حين كان الدافع الاقتصادي من العوامل التي شجعتهم على وقف أملاكهم، خاصة وأن هذه الأوقاف كانت معفاة من الخراج والضرائب، ووسيلة لتحصين أموالهم وأملاكهم من المصادرات، والإجراءات التعسفية الأخرى. أما الدافع الاجتماعي فكان وسيلة لصلة الأرحام، والصدقة على الفقراء والمساكين وطلاب العلم والايتام، فضلا عن تسبيل الماء العذب، وعلاج المرضى، وغير ذلك.

– أمكن جمع عدد كبير من أسماء التجار الواقفين المشهور منهم والمغمور، والذين ترجمت لهم كتب المصادر، أو التي أغفلت ذكرهم.

– كشفت الدراسة وقفيات التجار الضائعة ومنشآتهم والأعيان الموقوفة عليها، وهي تعوض النقص في المصادر التاريخية الأدبية والنقوش الكتابية، وتُعتبر بديلا عن الضائع منها وتكون قرينة للنسخ الموجودة منها في المصادر أو النقوش الكتابية.

– ألقت الدراسة الضوء على اتساع أملاك التجار وثرائهم، فالأعيان الموقوفة كانت متنوعة وتركز أغلبها في الأراضي، والبساتين، والمزارع، والكروم، وغيرها، بالإضافة إلى المنشآت التجارية والصناعية كالقياسر والخانات، والدكاكين والطواحين، والمعاصر، وغير ذلك.

---

(١) دفتر تحرير الطابو رقم ٦٠٢، ص١٦٥؛ رقم ٦٥٦، ص٥٣.

- أوضحت الدراسة اهتمام التجار بحماية وصيانة أوقافهم من خلال وجود مجموعة من الوظائف تقوم بإدارة هذه الأوقاف واستخراج ريعها وصرفه في جهاته طبقًا لشرط الواقف.

- ألقت الدراسة الضوء على المنشآت التي شيّدها التجار في دمشق وتنوعها، حيث شملت دور القرآن الكريم، ودور الحديث النبوي، والمدارس، والمساجد والجوامع، ومنشآت التصوف كالخوانق والرُّبط، بالإضافة إلى الترب، مع حصر القائم منها أو المندثر والتعريف بها تعريف مختصر.

- كشفت الدراسة اختلاف مسميات بعض المنشآت الدينية والتعليمية التي وردت في الوقفيات، عمّا ورد في المصادر التاريخية، مثل المدرسة النحاسية، والتي وردت باسم الخانقاه النحاسية في المصادر التاريخية المعاصرة.

- كشفت الدراسة وللمرة الأولى اسم واقف مسجد قيس بالصالحية وهو شجاع الدين قيس شجاع الدين قيس بن أي السرور بن أبي المجد التاجر السَّفَّار.

- أوضحت الدراسة أثر أوقاف التجار في الحياة الدينية والتعليمية، من خلال إقامة الشعائر الدينية في المساجد والجوامع، أو ما كان في المدارس والخوانق التي تقام فيها الصلوات، وصرف المرتبات النقدية والعينية لأرباب الوظائف بها، حتى تؤدي هذه المؤسسات دورها على أكمل وجه، ويتفرغ فيها هؤلاء الموظفون من الأئمة والخطباء والشيوخ وغيرهم من أداء عملهم، من ترسيخ الدين الإسلامي في نفوس المسلمين، والمحافظة على قراءة القرآن الكريم وتعلمه وتدريس الحديث النبوي وغيره من العلوم الدينية، مما ساعد في النهوض بالحركة العلمية.

- أوضحت الدراسة اهتمام بعض الواقفين بعمارة طريق الحج الشامي، لكي يستطيع الحجاج تأدية فريضة الحج بسهولة ويسر، والحصول على الأجر والثواب بأداء الفريضة وخدمة الحجاج، إلى جانب تمهيد الطرق لقوافلهم التجارية. كما خصصوا بعض عوائد الريع لتخليص أسرى المسلمين من الأسر.

- بيّنت الدراسة اهتمام كثير من الواقفين بالتعليم، وأثرها من خلال المدارس ومكاتب تعليم الأيتام التي قاموا بتشييدها، بهدف تنشئتهم نشأة علمية ليصبحوا قادرين على تحمل مسؤولياتهم.

- أوضحت الدراسة أثر أوقاف التجار في الحياة الاجتماعية، حيث كانت الأوقاف الأهلية(الذرية) أكثر أنواع الوقف انتشارًا، وكانت سببًا لزيادة صلة الأرحام بينهم وبين

أبنائهم وأقاربهم، بالتصدق عليهم وحمايتهم من تقلبات الدهر، فكان أكثرها يكون على الواقف ثم أولاده وعقبهم، وبعد الانقراض على جهات بر وصدقة، والتي كانت في أغلبها على الحرمين الشريفين والفقراء، وفي حالات أخرى كان الوقف يؤول إلى عتقاء الواقف عند وجودهم.

– بينت الدراسة أثر الأوقاف في مجال الرعاية الاجتماعية، فقد اهتم الواقفون بتقديم المساعدات المالية والعينية للفقراء والمساكين في كثير من المناسبات، كما اهتموا بالصرف على مطابخ الدشيشة بدمشق ومكة والمدينة المنورة، لإطعام الفقراء، كذلك اهتموا بتيسير الحصول على مياه الشرب، إلى جانب اهتمامهم بالرعاية الصحية، وتخصيص النفقات المالية اللازمة لها.

اللوحات

لوحة(١) وقفية المدرسة الإسعردية في دفتر تحرير الطابو رقم ٣٩٣، ص١٢.

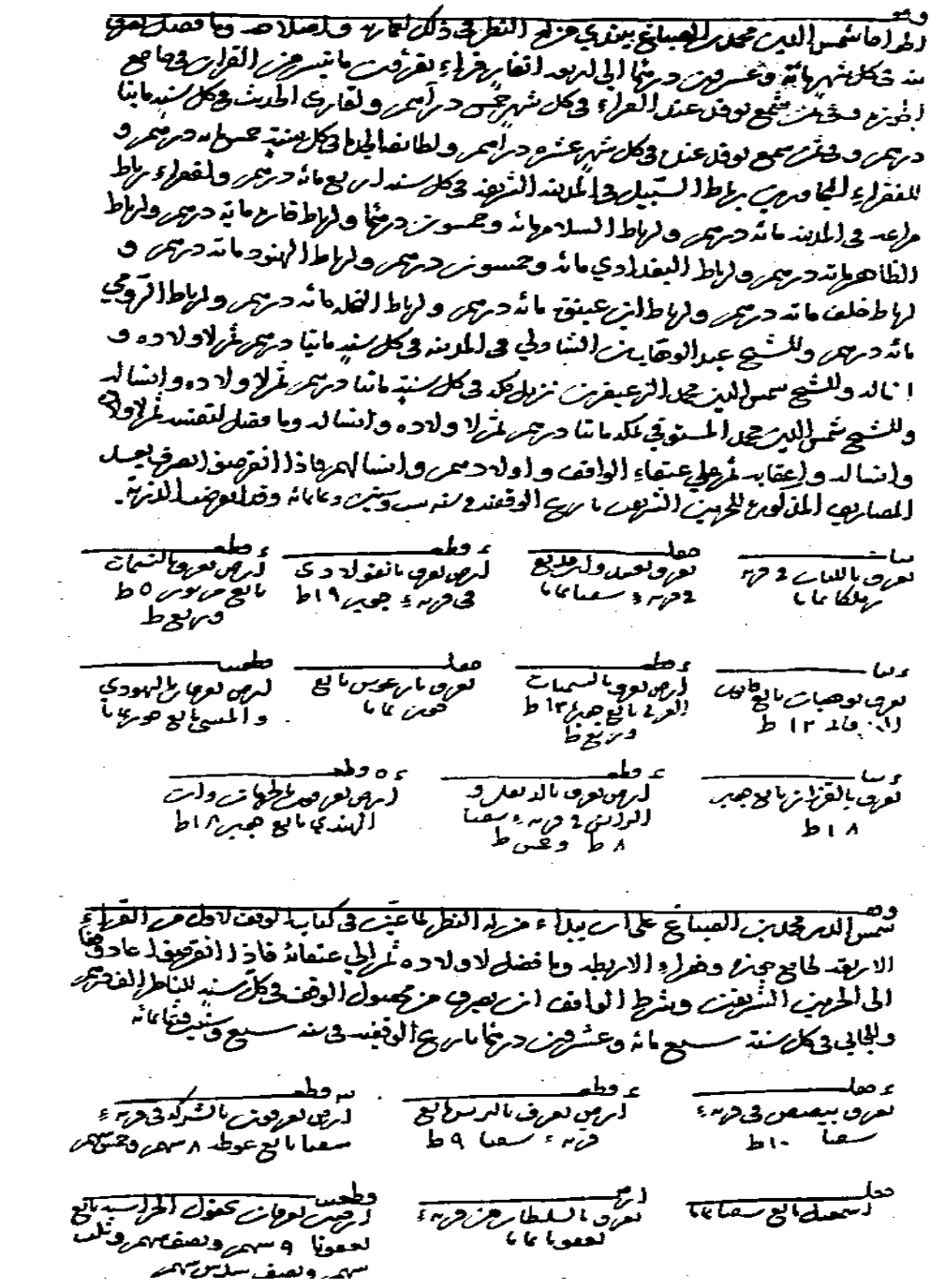

لوحة(٢) وقفيتان للخواجا شمس الدين محمد بن الصباغ في دفتر تحرير الطابو رقم ٣٩٣، ص ١٢١.

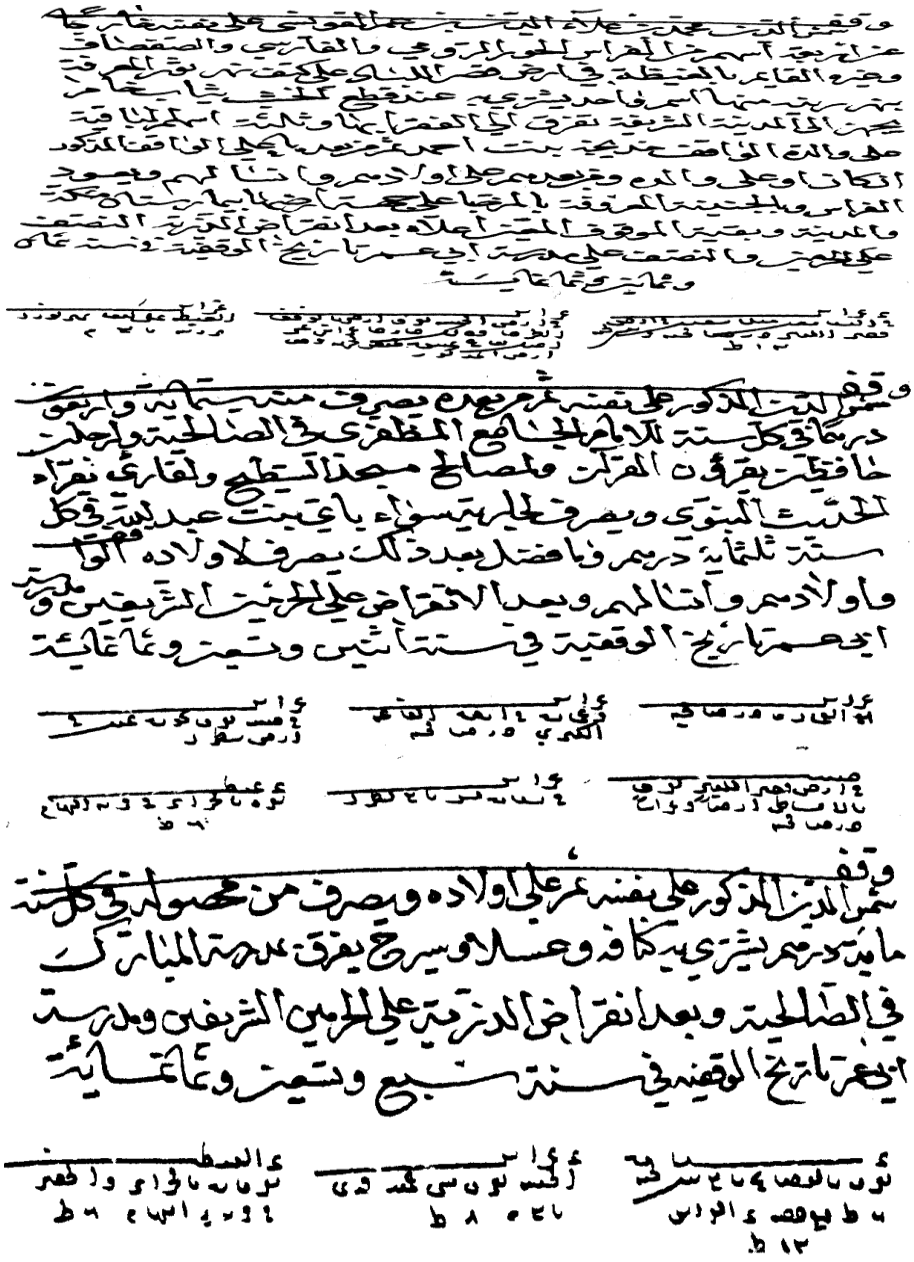

لوحة(٣) أوقاف الخواجا شمس الدين محمد بن القونسي في دفتر تحرير الطابو رقم ٦٠٢ ، ص٢٥٥-٢٥٦.

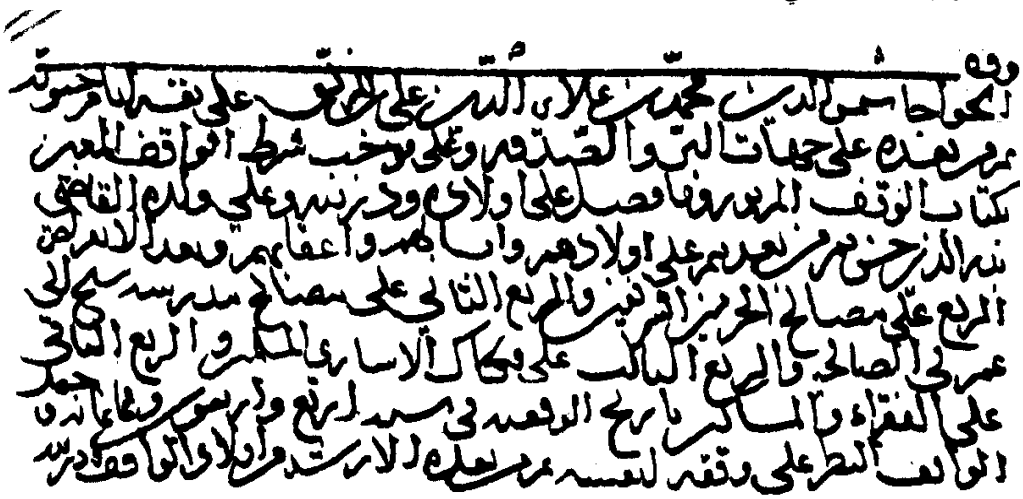

لوحة(٤) وقفية الخواجا محمد بن المزلق في دفتر تحرير الطابو رقم ٦٥٦، ص١٢٧.

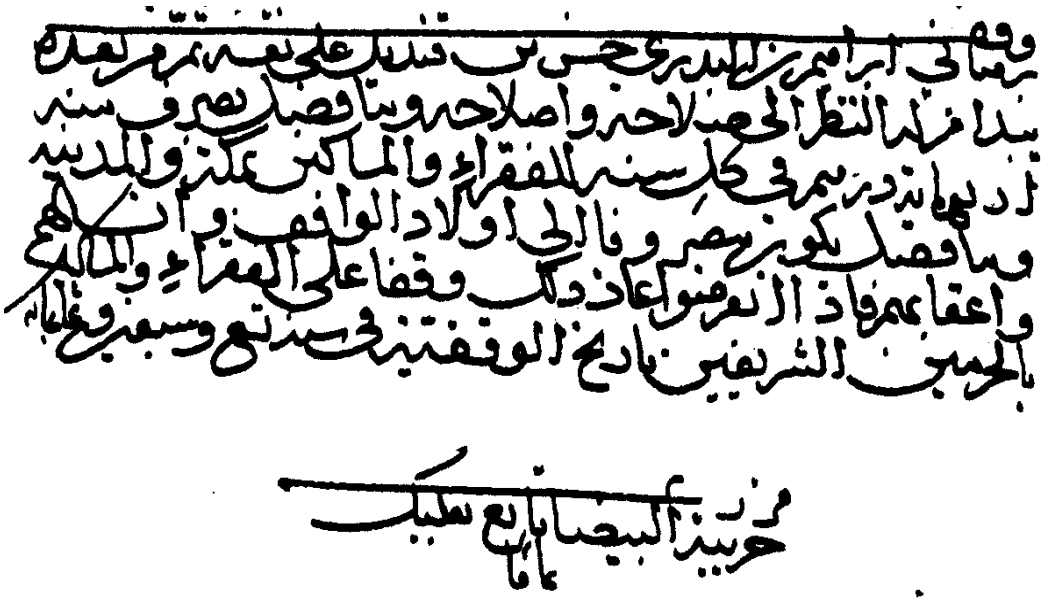

لوحة(٥) وقف الخواجا برهان الدين إبراهيم بن قنديل في دفتر تحرير الطابو رقم ٦٥٦، ص٢٠٣.

لوحة(٦) نقش إنشاء الجامع الجديد بصالحية دمشق

نقلاً عن: Gaube: Arabische Inschriften aus Syrien

,p.110,N.197,tafel,XV,1.

أولاً: دفاتر تحرير الطابو غير المنشورة:

١- دفتر تحرير الطابو رقم ٣٩٣، تاريخه غير مُحدد. ويرجع إلى فترة حكم السُلْطان سليمان القانوني (٩٠٤-٩٧٤هـ/١٥٤٧-١٥٦٦م)، وتاريخ أحدث وقفية(٩٥٤هـ/١٥٤٧م).

٢- دفتر تحرير الطابو رقم ٦٠٢، تاريخه ٩٩٠هـ/١٥٨٢م.

٣- دفتر تحرير الطابو رقم ٦٥٦، يرجع تاريخه إلى فترة حكم السُلْطان مراد الثالث(٩٨٢- ١٠٠٣هـ/١٥٧٤-١٥٩٥م).

ثانيًا: المخطوطات:

ابن تَغْري برْدِي(جمال الدِّين أبو المحاسن يُوسُف بن تَغْري برْدي الأتابكي، ت٨٧٤هـ/١٤٧٠م):

-حوادث الدهور في وقائع الدهور، مخطوط محفوظ بمكتبة الدولة ببرلين رقم Wetzstein I 1

النعيمي(عبد القادر بن محمد الدمشقي، ت ٩٢٧هـ /١٥٢٠ م):

-العنوان في ضبط مواليد ووفيات أهل الزمان، مخطوط بمكتبة جامعة لايبزيك، ألمانيا، رقم Vollers 847a.

ثالثًا: المصادر:

البرزالي(علم الدين، القاسم بن محمد بن يوسف، ت ٧٣٩ هـ / ١٣٣٩ م):

-المقتفى على كتاب الروضتين (المعروف بتاريخ البرزالى)، جزءان(٤ أقسام)، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، الطبعة الأولى، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٦م.

البُصرَوي(علاء الدين علي بن يوسف بن أحمد الدمشقي، ت ٩٠٥هـ/١٤٩٩م):

-تاريخ البُصرَوي (صفحات مجهولة من تاريخ دمشق في عصر المماليك من سنة ٨٧١ لغاية ٩٠٤هـ)، تحقيق ودراسة أكرم حسن العُلبي، الطبعة الأولى، دار المأمون للتراث، دمشق، ١٩٨٨م.

ابن بطوطة(شمس الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي، ت٧٧٩هـ/١٣٧٧م):

-تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق عبد الهادي التازي، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية سلسلة التراث، الرِباط، ١٩٩٧م.

ابن تغرى بردى (جمال الدين أبى المحاسن يوسف بن تغرى بردى الأتابكي، ت ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م):

- الدليل الشافي على المنهل الصافي، جزءان، تحقيق فهيم محمد شلتوت، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ١٩٩٨م .

- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، الجزء الثاني عشر، الطبعة الثانية، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠٠٦م.

ابن الجزرى(شمس الدين أبى عبد الله محمد بن إبراهيم، ت٧٣٩هـ/١٣٣٩ م) :

- تاريخ حوادث الزمان وأنبائه ووفيات الشيوخ والأعيان من أبنائه، ٣ أجزاء، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، الطبعة الأولى، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٦م.

الجزيري(عبد القادر بن محمد بن عبد القادر بن إبراهيم الأنصاري الحنبلي، توفي بعد ٩٧٧هـ/١٥٧٠م):

- الدُّرر الفَرائِد المُنظَّمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظَّمة، ٣ أجزاء، أعده للنشر حَمَد الجاسر، الطبعة الثانية، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

ابن حِجِّي(شهاب الدين أبي العباس أحمد السعدي الحسباني الدمشقي، ت ٨١٦هـ/ ١٤١٣م):

- تاريخ ابن حِجِّي، جزءان، ضبط النص وعلق عليه أبو يحيى عبد الله الكندري، الطبعة الأولى، دار ابن حزم، بيروت، ٢٠٠٣م.

ابن الحمصي(شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر، ت ٩٣٤هـ/١٥٢٧ م):

- حوادث الزمان ووفيات الشيوخ والأقران، ٣ أجزاء، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، الطبعة الأولى، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٩م.

ابن خلدون(عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن حسن بن عبد الرحمن، ت٨٠٨هـ/١٤٠٦م):

- التعريف بابن خلدون ورحلته غربًا وشرقًا، عارضه بأصوله وعلق حواشيه محمد بن تاويت الطنجي، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٦م. .

الذهبي(محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز، ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م):

-تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ج٥٢، (حوادث وتراجم سنة ٦٩١-٧٠٠هـ)، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠٠٠م.

السبكي(تاج الدين عبد الوهاب، ت٧٧١هـ/١٣٦٩م):

- معيد النعم ومبيد النقم، (الإصلاح السياسي والإداري في الدولة العربية الإسلامية)، تقديم أحمد عبيدلي، الطبعة الثانية، دار الحداثة، بيروت، ١٩٨٥م.

السخاوى(شمس الدين محمد بن عبد الرحمن الشافعي، ت ٩٠٢هـ / ١٤٩٧م):

-التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، المجلد الأول، تحقيق ودراسة أنيس طاهر وبدر بن محمد العماش ومصطفى عمار منلا، مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ٢٠٠٨م.

-الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ١٢ جزء، الطبعة الأولى، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٢م.

ابن شاهين(غرس الدِّين خليل بن شاهين الظَّاهري، ت٨٧٢هـ/١٤٦٨م):

-زُبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، الطبعة الأولى، المكتبة العصرية- صيدا-بيروت، ٢٠١١م.

ابن شداد (عز الدين أبي عبد الله محمد بن علي بن إبراهيم الحلبي، ت ٦٨٤هـ /١٢٨٥م):

-الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، عني بنشره وتحقيقه ووضع فهارسه سامي الدهان، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، ١٩٦٢م.

الشوكاني(عبد القادر بن عمر بن عبد القادر التغلبي الشَّيباني الدمشقي الحنبلي، ١١٣٥هـ/١٧٢٣م):

-نيل المآرب بشرح دليل الطالب: على مذهب الإمام المبجل أحمد بن حنبل، حَقّقَهُ محمد سليمان عبد الله الأشقر، الطبعة الأولى، مكتبة الفلاح، الكويت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

الصيرفى(علي بن داود الجوهري، ت٩٠٠ هـ/١٤٩٤م) :

-إنباء الهصر بأبناء العصر، تحقيق حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٢ م.

الطرابلسي:(برهان الدِّين إبراهيم بن موسى بن أبي بكر بن على الحنفي، ت٩٢٢هـ/١٥١٦م):

-الإسْعاف في أحكام الأوقاف، دار الرائد العربي، بيروت، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

ابن طَوْق(شهاب الدين أحمد، ت ٩١٥هـ/١٥٠٩م):

-التعليق(مذكرات كتبت في دمشق في أواخر العهد المملوكي٨٨٥-٩٠٨هـ/ ١٤٠٨-١٥٠٢م): ٤ أجزاء، تحقيق الشيخ جعفر المهاجر، منشورات المعهد العلمي الفرنسي لشرق الأدنى – قسم الدراسات العربية، بيروت، ٢٠٠٠- ٢٠٠٧م.

ابن طولون(شمس الدين محمد بن علي بن أحمد الصالحي الدمشقي، ت٩٥٣هـ/ ١٥٤٦م):

-ضرب الحوطة على جميع الغوطة، نشر محمد أسعد طلس، القسم الأول، مجلة المجمع العلمي العربي، الجزء الثالث والرابع، المجلد الحادي والعشرين، آذار ونيسان ١٩٤٦م/ ربيع الثاني وجُمادى الأولى ١٣٦٥هـ.

-مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، قسمان، تحقيق محمد مصطفي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة،١٩٦٢، ١٩٦٤.

-البرق السامي في تعداد منازل الحج الشامي، نشر حمد الجاسر، مجلة العرب، السنة ١٠، الجزء ١١-١٢، الرياض، مايو- يونيو ١٩٧٦م.

- القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية، قسمان، تحقيق محمد أحمد دهمان، الطبعة الثانية، مطبوعات مَجْمَع اللغة العربية، دمشق، ١٩٨٠م.

عبد الباسط بن خليل(زين الدين عبد الباسط بن خليل بن شاهين الظاهري، ت٩٢٠ هـ/١٥١٤م) :

-نيل الأمل في ذيل الدول، ٩ أجزاء، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، الطبعة الأولى، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٢م.

-المَجمع المُفنَ ِن بالمعجم المعنون، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، الطبعة الأولى، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، ٢٠١١م.

الغزي (محمد بن محمد العامري الدمشقي، ت١٠٦١هـ/١٦٥١م):

-الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، ٣ أجزاء، تحقيق خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م.

ابن فهد(نجم الدين عمر بن محمد بن محمد القرشي الهاشمي المكي، ت٨٨٥هـ/١٤٨٠م):

- إتحاف الورى بأخبار أم القرى، تحقيق عبد الكريم علي باز، الطبعة الأولى، جامعة أم القرى- مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة، ١٩٨٨م.

ابن فهد(عز الدين عبد العزيز بن نجم الدين عمر بن محمد القرشي الهاشمي المكي، ت٩٢٢هـ/يونيو ١٥١٦م):

- بُلوغ القرى في ذيل إتحاف الورى بأخبار أُمّ القرى، ٤ أجزاء، تحقيق ودراسة صلاح الدين بن خليل إبراهيم وآخران، الطبعة الأولى، دار القاهرة، القاهرة، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م.

ابن قاضي شهبة(تقي الدين أبي بكر بن أحمد الأسدي الدمشقي (ت ٨٥١هـ/ ١٤٤٨م):

-تاريخ ابن قاضي شهبة،٤ أجزاء، (السنوات٧٤١هـ-٨٠٨ هـ)، تحقيق عدنان درويش، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق،١٩٧٧، ١٩٩٤، ١٩٩٩م.

القَلْقَشَنْدي (أبو العباس أحمد بن على، ت ٨٢١هـ/ ١٤١٨م):

-صُبْح الأعْشَى في صِنَاعة الإنْشا، ١٤ جزء ، الطبعة الثالثة، مركز تحقيق التراث، دَار الكُتب وَالوَثَائِق القَوميَّة، القَاهرة،١٤٣١هـ/٢٠١٠م.

الكُتبى(صلاح الدين محمد بن شاكر بن أحمد، ت ٧٦٤هـ /١٣٦٣م):

-عيون التواريخ، ٣ أجزاء، ج١، حوادث وتراجم(٦٤٨-٦٧٠هـ)، تحقيق أحمد عبد الستار، ج٢، حوادث وتراجم(٦٧١-٦٨٧هـ)، تحقيق أحمد عبد الستار وآية محمد كامل، ج٣، حوادث وتراجم(٦٨٧-٧١٠هـ)، تحقيق أحمد عبد الستار وزينب علي البنداري، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠١٧م.

ابن كثير(أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، ت٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م):

-البداية والنهاية، الجزء والثامن عشر، تحقيق عبد الله عبد المحسن التركي، الطبعة الأولى، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة،١٩٩٨م.

ابن المَبْرَد(جمال الدين يوسف بن عبد الهادي الدمشقي، ت ٩٠٩هـ/١٥٠٣م):

-ثمار المقاصد في ذكر المساجد، تحقيق محمد أسعد طلس، مجموعة النصوص الشرقية، الجزء الثالث، المعهد الافرنسي، بيروت، ١٩٤٣م.

مجهول:

-حوليات دمشقية (٨٣٤ -٨٣٩هـ)، نشر وتحقيق حسن حبشي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٨م.

مُسلم بن الحجّاج(الإمام أبي الحسين مُسلم بن الحَجَّاج القُشَيْري النَّيْسَابُوري، ت٢٦١هـ/٨٧٥م):

-صَحيح مُسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة الأولى، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٤١٢هـ/١٩٩١م، ج٣، ص ١٢٥٥ حديث رقم ١٦٣١.

المَقْريزي(تَقيِّ الدِّين أحمد بن علي بن عبد القادر، ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤٢م):

-المَواعظ والاعتِبَار في ذكر الخِطَط والآثار، قَابَلَهُ بِأُصُولِهِ وأعَدَّهُ لِلنَّشرِ أَيمَن فُؤاد سَيِّد، الطبعة الثانية، مُؤَسَّسَةُ الفُرقَانِ للتُّراثِ الإسلاَمي، لندن، ٢٠١٣م.

-السلوك لمعرفة دولة الملوك، ج٣-٤(٦ أقسام)، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور، الطبعة الرابعة، مركز تحقيق التراث، دَار الكُتب وَالوَثَائِق القَوميَّة، القَاهرة، ١٤٣٦هـ/٢٠١٤م.

ابن المَلاَّ الحَصكَفي(أحمد بن محمد الحلبي الشافعي، ت١٠٠٣هـ /١٥٩٥م):

-مُتْعَةُ الأَذْهَانِ من التمتع بالإقران بين تراجم الشيوخ والأقران، انتقاه من كتاب: التمتع بالإقران لابن طولون الصالحي، جزءان، تحقيق صلاح الدين خليل الشيباني الموصلي، دار صادر بيروت، ١٩٩٩م.

ابن مَنْظُور:(جمال الدِّين أبو الفضل محمد بن مَكْرَم بن علي الأنْصاري، ت ٧١١هـ/١٣١١م):

- لسان العرب، دار المعارف، القاهرة،(د.ت).

-المنهاجي(شمس الدين محمد بن أحمد بن علي الأسيوطي القاهري الشافعي، ت ٨٨٠هـ/١٤٧٥م):

- جواهر العقود ومُعِين القضاة والموقعين والشهود، مطبعة السنة المحمدية، ١٩٥٥م.

النعيمي(عبد القادر بن محمد الدمشقي، ت ٩٢٧هـ/١٥٢٠م):

– الدارس في تاريخ المدارس، جزءان، تحقيق جعفر الحسني، الطبعة الثانية، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٦م.

ياقُوت الحَمَوي: (شهاب الدِّين أبو عبد الله ياقُوت بن عبدالله، ت ٦٢٦هـ/١٢٢٩م):

–معجم البلدان، ٥ أجزاء، دار صادر، بيروت، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.

اليونيني(قطب الدين موسى بن محمد، ت ٧٢٦هـ/ ١٣٢٦م):

– ذيل مرآة الزمان، تاريخ السنوات (٦٥٤–٦٨٦هـ / ١٢٥٦– ١٢٨٨م)، ٤ أجزاء، الطبعة الأولى، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند، ١٩٥٤–١٩٦١م.

– تاريخ السنوات (٦٩٧–٧١١هـ/١٢٩٧–١٣١٢م)، ٣ أجزاء، دراسة وتحقيق حمزة عباس، الطبعة الأولى، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، المجمع الثقافي، أبوظبي،٢٠٠٧م.

رابعًا: المراجع العربية والمعربة:

أكرم حسن العُلبي:

–خطط دمشق، دراسة تاريخية شاملة على مدى ألف عام، لدور القران والحديث والمدارس والبيمارستانات والجوامع الكبرى والخوانق والربط والزوايا والأسواق والخانات والحمامات والدروب، الطبعة الأولى، دار الطباع للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ١٩٨٩م.

البيومي إسماعيل الشربيني:

– مصادرة الأملاك في الدولة الإسلامية(عصر سلاطين المماليك)، سلسلة تاريخ المصريين رقم(١١٠–١١١)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٧م.

جعفر الحسني:

– المدرسة الإسعردية، مجلة المجمع العلمي العربي، الجزء الثالث–المجلد الثالث والثلاثون، ذي الحجة ١٣٣٧هـ/تموز ١٩٥٨م.

حسن الباشا:

- الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية، ٣ أجزاء، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٥-١٩٦٦م.

حسن حلاق وعباس صباغ:

- المعجم الجامع في المصطلحات الأيوبية والمملوكية والعثمانية ذات الأصول العربية والفارسية والتركية، الطبعة الأولى، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٩م، ص١٤٣).

رينهارت دوزي:

-تكملة المعاجم العربية، ترجمة محمد سليم النعيمي، الطبعة الأولى، دار الشؤون الثقافية العام، بغداد، ١٩٧٧م.

سعيد عبد الفتاح عاشور:

- المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، دار النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٩٢م.

سهيل صابان:

-المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مراجعة عبد الرازق محمد حسن بركات، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض،٢٠٠م.

عبد الغني محمود عبد العاطي:

- التعليم في مصر زمن الأيوبيين والمماليك، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٤م.

عبد القادر بدران:

- منادمة الأطلال ومسامرة الخيال، المكتب الإسلامي، دمشق، (د.ت).

عبد اللطيف إبراهيم:

- «دراسات تاريخية وأثرية في وثائق من عصر الغوري»، رسالة دكتوراه، كلية الآثار- جامعة القاهرة، ١٩٥٦م.

عطية القوصي:

- «أضواء جديدة على تجارة الكارم من واقع وثائق الجنيزة»، المجلة المصرية للدراسات التاريخية، المجلد الثاني والعشرون، القاهرة، ١٩٧٥م.

فرج حسين فرج حسين:

– «النقوش الكتابية المملوكية على العمائر في سوريا(٦٥٨-٩٢٢هـ/ ١٢٦٠-١٥١٦م) دراسة آثارية فنية مقارنة»، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب – جامعة سوهاج، ٢٠٠٨م.

قتيبة الشهابي:

– –مُعجم دمشق التاريخي للأماكن والأحياء والمُشيدات ومواقعها لتاريخية كما وردت في نصوص المؤرخين، ٣ أجزاء، منشورات وزارة الثقافة السورية، دمشق، ١٩٩٩م.

محمد أبشرلي ومحمود داود التميمي:

– أوقاف المسلمين في فلسطين في ألوية غزة، القدس الشريف، صَفَد، نَابْلُس، عَجْلُون حسب الدفتر رقم ٥٢٢ من دفاتر التحرير العثمانية المدونة في القرن العاشر الهجري، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، استانبول، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

محمد أبو زهرة:

–محاضرات في الوقف، الطبعة الثانية، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧١م.

محمد عبد الستار عثمان:

–نظرية الوظيفية بالعمائر الدينية المملوكية الباقية بمدينة القاهرة، دار الوفا لدينا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ٢٠٠٥م.

محمد محمد أمين:

– «وثائق وقف السُّلْطان قلاوون على البيمارستان المنصوري»، ملحق بكتاب تَذكِرَة النَّبيه في أيَّام المنصُور وَبَنيه للحسن بن عمر بن حبيب، مركز تحقيق التراث، مطبعة دار الكتب ، القاهرة، ١٩٧٦م.

–الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر (٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م) دراسة تاريخية وثائقية، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠١٤م.

محمد محمد أمين وليلى علي إبراهيم:

–المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية(٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م)، الطبعة الأولى، دار النشر بالجامعة الأمريكية، القاهرة، ١٩٩٠م، ص٥٢).

محمد عيسى صالحية:

– « من وثائق الحرم القدسي الشريف المملوكية»، حوليات كلية الآداب، جامعة الكويت، الحولية السادسة، الرسالة السادسة والعشرون، ١٩٨٥م.

محمد كرد علي:

- غُوطة دمشق، المجمع العلمي العربي، دمشق، ١٩٥٢م.

نجاتي أقطاش وعصمت بينارق:

-الأرشيف العثماني فهرس شامل لوثائق الدولة العثمانية المحفوظة بدار الوثائق التابعة لرئاسة الوزراء باستانبول، ترجمة سعداوي صالح، منشورات مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية باستانبول ومركز الوثائق والمخطوطات بالجامعة الأردنية، عمان، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

يسري أحمد زيدان:

-رعاية الأيتام في العصر المملوكي(٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م)، مجلة المؤرخ العربي، العدد الخامس عشر، مارس ٢٠٠٧م.

خامسًا: المراجع الأجنبية:

- Heinz Gaube: Arabische Inschriften aus Syrien, Beirut, 1978.